السيد محمد علي شرف الدين

شيخ الأبطح

أو

أبو طالب

قدم له

سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

دار الأرقم

صور - لبنان

www.haydarya.com

شيخ الأبطح
أو
أبو طالب

السيد محمد علي شرف الدين

شيخ الأبطح
أو
أبو طالب

دار الأرقم
صور - لبنان

الكتاب: شيخ الأبطح أو أبو طالب.
المؤلف: السيد محمد علي شرف الدين.
الطبعة الأولى: رمضان ١٣٤٩ هجرية ـ بغداد.
الطبعة الثانية: رمضان ١٤٠٧ هـ أيار ١٩٨٧ م.
الناشر: دار الأرقم.

صور تلفون: ٣١٤٧٧٧

بيروت تلفون: ٣١١٠٢١
٨٠٧٦٥٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بسم الله

كلمة الناشر

منذ ثمانية وخمسين عاماً، وكتاب (شيخ الأبطح) نقرأه مرجعاً وحيداً من مؤلفات هذا العصر في شأن أبي طالب، إذ اعتمده كل من كتب في أبي طالب إلى جانب الأمهات من المصادر التاريخية.

أما الكتاب نفسه، فقد نفد منذ صدوره وترجم الى اللغة (الأوردية) أكثر اللغات الهندية انتشاراً لما لاقاه من تقدير لرصانة البحث وعمق الفكر ودقة النظر.

رأينا إعادة طبع الكتاب، وقوفاً مع مؤلفه فيما رمى إليه بشأن أبي طالب، بسبب النقطة المحور ابنه الإمام علي عليه السلام. الذي لا يزال يشغل كل باحث في الإسلام، ولا يزال يدور حوله، ومن شايعوه، عصف رياح.

ونعيد طبعه أيضاً تقديماً لنمط فكري عاملي، كان المقدر أن يكون له أثر في دنيانا العاملية، لولا أن تخطفه الأقدار من عوالمنا.ثم إن الكتاب أثر عاملي يقتضي أن يأخذ موقعه من المكتبة العاملية والمكتبة الإسلامية ومكانه من الإطلاع والبحث، وكم هم الذين مروا في جبلنا العاملي، وعفت الرياح على بصماتهم، ولم نع إلا ونحن نكاد نفتقد تاريخنا الفكري أو الأدبي، كما نعيش في الظلال الباهتة من تاريخنا السياسي.

(دار الأرقم) إذ تعيد طبع هذا الكتاب، مع بعض مما قيل فيه وبعض مما قيل في مؤلفه في ذكرى وفاته، تأخذ على عاتقها متابعة الآثار مخطوطة أو منشورة، والله من وراء القصد.

الناشر

١٤٠٧ هـ

١٩٨٧ م

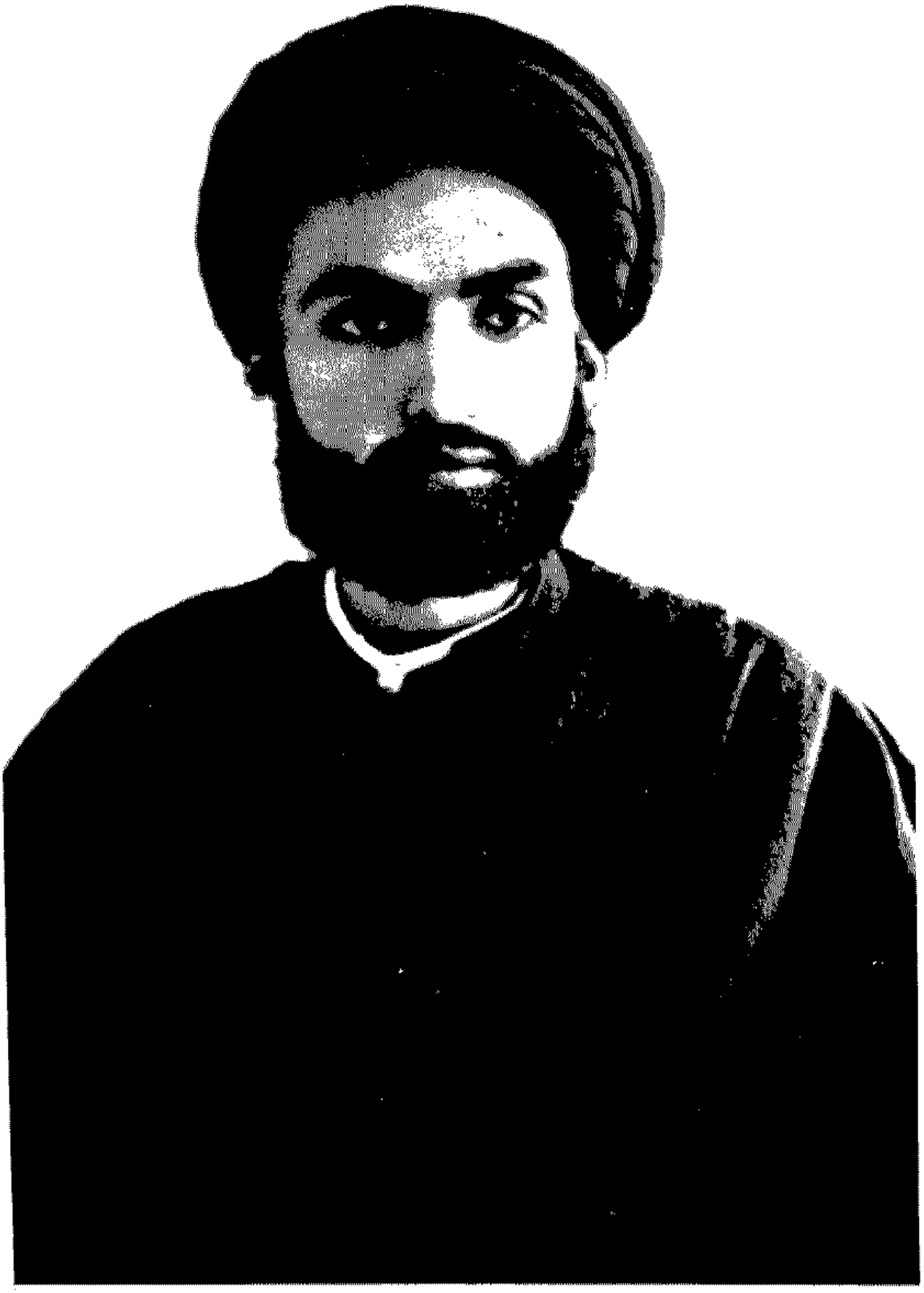

المقدمـــة

لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

يمثل أبو طالب رحمه الله ، إحدى نقاط الخلاف الكلامي التاريخي بين المسلمين ، ففيما تذهب طائفة منهم إلى أنّه عاش كافراً ومات كافراً ، تذهب طائفة أخرى إلى أنّه عاش جانباً من حياته حنيفياً وعاش بقية حياته منذ عرف الإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن مات مسلماً مضحياً مجاهداً، بما يتجاوز تضحية وجهاد اكثر المسلمين جهاداً وتضحية في عهده .

نقول : والمسلمون ، من قال منهم بكفره،ومن ذهب منهم الى إسلامه وغيرهم، مجمعون على حقيقة تاريخية لا يرقى إليها الشك هي أنّ أبا طالب وضع كل ثقله العائلي والإجتماعي في خدمة رسول الله بما هو صاحب دعوة ومبشر بفكرة ، أثارت نزاعاً خطيراً أو خصومات حادة في مجتمع مكة ومن ثم في مجتمع شبه الجزيرة العربية كلها، لا بما هو ابن أخيه فقط .

هذا النزاع الكلامي التاريخي بين المسلمين في شأن أبي طالب يكتسي أهمية سياسية حيث ندرسه على ضوء الصراع السياسي الذي نشب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعاظم واستحكم في العهد الأموي ، بين نهجين في فهم الإسلام وتطبيقه : النهج الرسالي

الـذي مثله أمير المؤمنـين عليّ بن أبي طـالب وينوه ، والنهـج الآخـر الـذي مثله الأمويون في دولتهم .

هـذا الخلاف يعـالجه المقـدس السيد محمـد علي شـرف الـدين أحـد أنجـال الإمام السيـد عبد الحسـين شرف الـدين رحمة الله عليهـما في كتابـه (**شيخ الأبطح**) الذي ألفه قبل ما يزيد على ثلاث وخمسين سنة .

وهو يعالجه بأسلوب شمـولي مستوعب ومـوضوعي يختلف كثيـراً عن الأسلوب الذي كان سائداً في جيله وفي محيـطه الثقافي في النجف الأشـرف الذي كان يعتمد على نقل النصوص واعـادة تصنيفها دون اغتنـاء بتحليلها وتفسير خلفياتها . ومن هنا فهذا الكتاب يعتبر متقدمـاً بالنسبـة إلى ما كـان عليـه الحال في أمثـال هذه الـدراسات التـاريخية قبـل ما يـزيد عـلى نصف قرن .

هذا إضافة إلى ظاهرة يلاحظها القـارىء في هذا الكتـاب ، وهي ما يمكن أن نطلق عليه (**الإنضبـاط العاطفي**) ففي أمثـال هذه المـوضوعـات التي تتصل بعلم الكلام والتاريخ والسياسة يتعرض الكاتب لإثـارة عاطفيـة قد تبعد به عن الموضوعية الصـارمة . وهـو ما تجـد أنّ السيد شـرف الدين الابن قد نجح في تفاديه والتغلب عليه إلى حدٍّ كبير في هذا الكتاب .

ليست بي حاجة إلى الإفاضة في التنـويه بجـوانب الشخصية العلميـة والريادية عند المرحوم السيد محمد عـلي شرف الـدين . فإنّ القـارىء الذي لا يعـرف الكثير عن هـذه الأسـرة ومـوقعهـا يستـطيـع أن يستنـير بـالنبـذة التاريخية عن المرحوم المؤلف التي وضعتهـا لجنة الإحتفـال بتكريم ذكـراه ، ولكن ما ينبغي التركيز عليه هو الإشادة بالنبوغ الفكري الذي يجعـل شابـاً لم يتجـاوز الخامسـة والعشرين من عمـره ينجز في غمـار حياتـه الـدراسيـة ونشـاطه الـذي تشير إلى مـلامحه النبـذة التاريخيـة عن حياتـه ، مثـل هـذه الدراسة التي تجاوزت معطيات محيطها ، كما أشرنا .

لن أفيض في نقل مضامين الكتاب في هذه المقدمة ولكن أشعر أنّ عليَّ أن ألفت نظر القارىء الى المفارقة التي تجعل العصبية السياسية من أبي سفيان مسلماً صالحاً ومن أبي طالب كافراً ، ونتساءل بعيداً عن النصوص وروايات التاريخ وتحليلها ، كيف نستطيع الحكم على هوية إنسان ؟

في تقديرنا أنّ هوية الإنسان تظهر من خلال ثلاثة أنواع من الممارسة الحياتية :

١ ـ طريقة حياته الشخصية .

٢ ـ شبكة علاقاته الإجتماعية وطريقة استخدامها .

٣ ـ تصريحاته العلنية التي صدرت عنه دون خوف ودون رغبة .

وبهذا المقياس ، إذادرسنا حياة أبي طالب فسنجد أنّه كفل رسول الله بما يتجاوز حدب الجد على الحفيد ، حتى بعد أن بعث رسول الله بالإسلام .

ونجد أنّ أبا طالب الزعيم البارز في قريش الذي تعامله قريش باحترام لم ينشأ عن القوة ولا عن الغنى ، وإنما نشأ عن فضائله الخلقية ومنزلة بيته الهاشمي ، يتمتع بشبكة علاقات اجتماعية وسياسية في المجتمع المكي والعربي ، وقد ضحى في سبيل حماية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم بما هو نبي بجميع علاقاته السياسية والإجتماعية إلى حد أنّ مجتمعه الذي كان يدين له بالطاعة والإحترام قد نبذه وحصره في الشعب .

ونجد لأبي طالب في التاريخ والأدب العربيين شعراً ونثراً يصرح فيهما بتصديقه بالإسلام واعترافه بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ولو فرضنا أنّ تسعين بالمائة من هذه النصوص الشعرية والنثرية المنسوبة إلى أبي طالب كانت موضوعة في عصر متأخر نتيجة للصراع

السياسي،لكانت العشرة الباقية من المائة دليلاً قاطعاً على الجزم باسلامه وبأنّه من أفضل المسلمين إسلاماً وجهاداً وتضحية .

نضع أمام هذه الصورة الحياة الشخصية لأبي سفيان وشبكة العلاقات الإجتماعية والسياسية لأبي سفيان ، وطريقة استخدامها لها في الحروب التي خاضها وأجج نارها ضد الإسلام . وفيما ثبت في التاريخ من تصريحاته ، وفيما نعلم أنّه لم يعلن إسلامه إلا بعد اليأس المطلق من قدرة الجاهلية على الوقوف في وجه دين الله ونتساءل :

أي فكر موضوعي يسمح للباحث أن يجعل من أبي سفيان مسلماً صالحاً ، ومن أبي طالب كافراً .

إنّ هذا الكتاب (**شيخ الأبطح**) يفصل عناصر الأساس الفكري التاريخي لهذه القضية ويضيء الخلفية السياسية لها .

إنّ المبادرة التي قامت بها «دار الأرقم» في إعادة نشر هذا التراث مبادرة تستحق التنويه ، ولا يفوتني هنا أن أذكر مقارنة لطيفة وهي أنّ أبا طالب رحمه الله ينتمي في تاريخه إلى المرحلة التي كان الإسلام ينطلق من دار الأرقم .

بيروت ـ ٢ . ١٤ هـ **محمد مهدي شمس الدين**

مقدمـــة
أو
إهداء الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على سيـد المـرسلين محمد وآله الطيبين .

كـان العـرب وغيـر العـرب يسيـرون على منـاهـج شتى ، وأطـوار مختلفـة في شؤون معـائشهم وأديـانهم وآدابهم وأخـلاقهـم ، حسـب اختـلاف بيئـاتهم ، فكنت تـرى في جـزيـرة العـرب ـ ودع عنـك مـا سـواها ـ صنـوفـاً من المعـامـلات وأنـواعـاً من الأنكحـة مستهجنـة وغيـر مستهجنـة ، وضروبـاً من قبائـح العادات ومنـاحٍ من المعتقـدات . فمن كتـابي ـ يهـودي ونصـراني ـ إلى وثني ، إلى صـابئي ، إلى مجـوسي ، ذلك ما كان شائعاً ثمة من المعتقدات .

ولما نطق ناطق الحق ـ محمد صلى الله عليـه وآله وسلم ـ وصـدع بمـا أمر بـه مبشراً ونـذيراً ، قلب هـذه المنـاهـج رأسـاً على عقب وغيّـر مناحي الأمم والشعوب ووحّد صفوف العرب ، معتقداً وأخلاقاً .

بيد أنّ ذلك بعد المتاعب والمشاق واجتياز كـل عقبة كـأداء بفضل الحجـج البالغـة والبراهين الـدامغة ، مشفـوعة بحـدود الصفاح ، وأسنـة الرماح ، فكان بعد ذلـك لصرخـة صارخ الـدين دويّ قويّ ، ونبـأ عظيم في انحـاء الكرة ، ولـذا ساد الخـوف واستولى الهلع والـرعب على افئدة

الجبابرة في ممالك الأرض ، نعم، ذلك لهيبة الحق وسر النبوة وعناية الله تعالى في تأييد دينه .

ومن هنا كان النصر حليف (الخلفاء) من بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان بريد الظفر يسعى بين أيديهم ، وعن يمينهم وشمالهم ، فباسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتتحت ممالك الأكاسرة والقياصرة، وباسمه صلّى الله عليه وآله تطوع في جيش الاسلام جماهير الأمم المختلفة ، فأخلصوا في العمل موحدين ، وبدينه تكون للعرب ملكهم العظيم من حدود الهند إلى البحر الاتلانتيكي ـ شرقاً وغرباً ـ ومن سواحل البحر الأحمر إلى سواحل بحر قزوين ـ شمالاً وجنوباً ـ في سرعة لم يحك التاريخ مثلها في الفتوحات ، واكتساح الممالك الشاسعة ، ومن المقرر تاريخياً أنه ما تم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك النجاح الباهر ولا الظهور على العرب وهم أولو العزة والقوة والعدد والعدة ، وما تسنى له جمعهم تحت لواء النبوة خاضعين ، ولا أذلاء صاغرين ، إلا بجهود عمه أبي طالب عليه السلام .

أجل ، وما استغل العرب هذا الملك العقيم ، إلا من حقول تلك الجهود ، فأبو طالب هو وحده الذي أخذ على عاتقه نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهما كلفه الأمر ، وهو وحده الذي شجعه على نشر مبادئه يوم لم يكن له ناصر ولا معين . وهو الذي فتق له من المضيق طرقاً واسعة للسعي وراء تأييدها ، وهو الذي كلّف نفسه أقصى ما يتصور في تكليف المرء نفسه في الدفاع عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي بذل كل نفيس ورخيص في سبيل دعوته ، وهو الذي قيضه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليتم به كلمته ، ذلك كلّه بشاهد نظرة واحدة في أي كتاب ترتضيه من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إذاً ، فأبو طالب هو المساعد الأول في وضع الأحجار الأولى في بناء هذا الدين القويم ، وهو صاحب الفضل الأول بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إقامة هذا الصرح العظيم ، وعليه ، فأبو طالب حقيق بأن يكون في الدرجة الأولى من أبطال التاريخ وأقطابه .

إذاً ، فلماذا لم نجد في محررات المؤرخين ـ عفا الله عنهم ـ تحت عنوانه سوى كلمات لا تتجاوز الأسطر في ترجمة حاله ؟؟؟ ، ولماذا ما عناهم من أمره ما عناهم من أمر غيره ممن هو دونه ودونه بدرجات نسباً وحسباً وشخصية وآثاراً ؟؟؟ ، ويمكنك أن تقف على سرّ إعراضهم عن هذا الأمر فيما بعد إن شاء الله تعالى .

كثيراً ما كان يخطر في البال ان أكتب في هذا الموضوع ، موضوع ترجمة ابي طالب ، وفي دفع ما علق في أذهان البعض من الشّبه في حقه . ذلك عندما أرى ما لهذا المجاهد الأول من الحقوق على الإسلام عامة ، وعلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلّم بالخصوص ، وما زالت هذه الفكرة تتجسم في نظري كلما سمعت وقرأت أن بعض إخواننا من المسلمين ما زالوا ، ولا يزالون يذكرون على المنابر في خطبتي العيدين والجمعة عمَّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم حمزة والعباس كما يجب ، ولا يأتون على ذكر أبي طالب أصلاً ، حتى كأن الله لم يخلقه عندهم[1] على حين أنه هو صاحب الفضل على الجميع وهو أولى الدعامتين اللتين قام عليهما بناء هذا الدين .

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما وللعمل بالفكرة ، وأداءً لواجب حق المجاهد ، وتكريماً لمقامه السامي أؤلف كتابي هذا ، وإلى كل من النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) قال صاحب العرفان الأغر في حاشية العدد الأول من المجلد التاسع عشر ص ٦٠ (أليس من أفظع الظلم أن يقال على المنبر اللهم ارض عن عمي نبيك حمزة والعباس ويترك أبو طالب) .

وسلم ووصيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أرفعه هدية بكلتا يديّ خاضعاً ضارعاً لقدسيّ مقامهما وعظمته ، ومن الله أستمد المعونة وأرجو القبول ، **وأسأله** تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، نصرة للحقيقة وذوداً عن حياض الحق وهو حسبي .

إسمه ولقبه وكنيته ونسبه

إسمه عبد مناف ، وقيل عمران ، وقيل شيبة ، وألقابه كثيرة ـ منها ـ شيخ الأبطح ، وسيّد البطحاء ، ورئيس مكة ، وكنيته أبو طالب ، وبها اشتهر ، فهو ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، بن قصي بن كلاب بن مرّة ، بن كعب بن لؤيٍّ بن غالب ، بن فهر بن مالك ، بن النّضر بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار بن معد بن عدنان .

لا يختلف النسابون في نسبه إلى عدنان ، ويختلفون فيما فوق ذلك اختلافاً كثيراً ، فبينما نرى أحدهم يعدد بين عدنان وبين إسماعيل عليه السلام أربعة آباء ، وإذا بالآخر يعد لنا بينهما سبعة آباء ، وثالث يجعل بينهما أربعين أباً ، وهلم فاسمع اختلافهم في الأسماء. يقول بعضهم عدنان بن أدد . ويقول آخر عدنان بن ميدع . وثالث يقول عدنان بن أد . وهكذا تجد الاختلاف صاعداً في سلسلة آبائه حتى تنتهي إلى إسمعيل .

كذا رأينا الإختلاف زيادة ونقيصة في العدد ، والتغاير في الأسماء ، ولم نر ما يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأييد أحد الأقوال ، ولذا وقفنا على عدنان ، ولم نتجاوزه في نسب أبي

طالب ، والذي نستريح إليه جداً في الوقوف على عدنان ، هو ما يرويه إبن سعد وابن عساكر عن ابن عباس ، من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انتسب يقف على عدنان ولا يتجاوزه ، ويقول كذب النسابون ، قال الله تعالى : ﴿ **وقروناً بين ذلك كثيراً** ﴾ .

ففي وقوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عدنان مع استشهاده بالآية الكريمة حكمة بالغة في إظهار كذب النسابين ، مضافاً إلى تصريحه بالطعن فيهم ، ولعل سلوك هذا المنحى في تكذيبهم كان مما لا بد منه لمقتضيات مقامية في ذلك الوقت كما لا يخفى .

كان من اللازم أن نشير إلى شيء من ترجمة آبائه ، بيد أنه لمراعاة الإختصار وللاقتصار على الموضوع ، أضربنا عن ذلك ، وعلى أيِّ حال فدونك كتب التاريخ ، فهم أقطابه وعلى مآثرهم تدور الخلائق ، ومن سنا أنوارهم تستمد النور .

علماء أئمة حكماء يهتدي النجم باتباع هداها

مولـده ونشأتـــه

ولـد في أمّ البلاد العـربيـة ، البلد الأمين ـ مكـة ـ قبـل ولادة النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم بخمس وثـلاثين سنـة ، المـوافق لسنـة ٥٣٥ ميلادية ونشأ في حجر والده عبد المطلب وتخرج على يده .

هنا يلزمنا أن نتعـرف بوالـد المترجم ، ونعـرفه للقـراء باختصـار ، فان ذلك يساعدنا على تصور نشأته ـ ان شيبـة الحمد ، (عبـد المطلب) من عرفه التاريخ باستعداده الفـطري ، وعلمه وحلمـه وحكمته . وحـدثنا عن بروز شخصيته في قريش ، وسيادتـه فيها سيـادة مطلقـة فقال : كـان عبـد المطلب مفـزع قـريش في النـوائب ، وملجـأهـا في الأمـور ، فهـو حكيم قـريش وحليمها وحـاكمها وشـريفهـا وسيّـدهـا كمـالاً وفعـالاً غيـر مدافع ، ولقد أفصح التاريخ أيضـاً عن بلوغه الغـاية في الحكمـة وصفاء النفس ، ولـذا توصـل إلى رفض عبـادة الأصنـام ، فـوحـد الله سبحـانـه وتعـالى ، وأنت ترى أثـر صفـاء نفسـه عندمـا تتلو مـا أثـر عنـه من سن السنن التي نزل القرآن بـأكثرها ، وجاءت السنة بها جمعـاء ـ منها ـ الـوفاء بـالنذر ، وقـطع يد السـارق ، والمنـع من نكـاح المحـارم ، والنهي عن قتل الموؤدة ، وتحريـم الخمر والـزنا ، وحـظر طواف العـراة في بيت الله الحرام .

ويظهر لنا من كلماته المأثورة ، أنه كان يؤمن بالبعث ، الأمر الذي يرشدنا إلى أن عبد المطلب وصل إلى أبعد نقطة في العلم والمعرفة ، وكثيراً ما كان يلقي على أولاده دروساً قيمة ، ويأمرهم بالعمل بها ـ منها ـ ما يعود إلى مكارم الأخلاق ، والتحذير من مغبة الظلم وسوء منقلبه ، والنهي عن دنيّات الأمور ، إلى آخر ما هنالك[1] .

وإذاً فخليق بأبي طالب ـ ذلك الذي درج في حجر رياسة والده ، وتأدّب على يده ، وتخرّج من كليّة ديوانه الحافل بأنواع الدروس والتعاليم ، أخلاقية وسياسية ـ أن يكون المثل الأعلى في نشأته من حيث الطموح ، إلى رفيعات المراتب ، والتأهب الى مستوى فوق مستوى قومه ، ويجدر به ان يخلف أباه في جميع مزاياه في حكمته وتوحيده ، في منابذته لخرافات قريش الإعتقادية وغيرها .

وليس المجد مكتسباً ولكن على أعراقها تجري الجياد

---

(١) ترى زيادة على ما ذكرناه عن عبد المطلب في السيرة الحلبية ج ١ ص ٤ ط مصر وفي بلوغ الأرب للألوسي ج ١ ص ٣٢٣ و٣٢٤ من الطبعة الثانية .

مقامه في قريش وفي انحاء جزيرة العرب

لم يكن مقام أبي طالب في قريش بأقل من مقام والده فيهم ، ولم تكن شخصية أبيه فيهم ، على ظهورها بأظهر من شخصيته ، والذي يلوح لنا من السير والتاريخ أن أبا طالب ضارع أباه في حياته في السيادة والكمالات الروحية ، ولذا كان شريك والده في كفالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما توفّي والده انفرد وحده في كفالته صلى الله عليه وآله وسلم[1] كما انه انفرد بالزعامة المطلقة ، على حين أنه كان لا مال له[2]. والمعلوم عن ذلك الوقت وغيره ، أنّ المادة الوحيدة للزعامة بعد الإستعداد هي المال ليس إلا ، غير أن أبا طالب بمواهبه واستعداده ومكارم أخلاقه ومقدرته ، ملك نفوس قريش ، وحل من قلوبهم محلاً علياً ، وكان له فيهم المقام الكريم ، والجاه العظيم ، فانقادت له الأمور ، واستوى على عرش الحكومة ، وأقام صرح الرياسة على قاعدة الكفاءة فحسب بدون أن يدعمها بشيء من الفلز الذهبي ، أو القطع المسكوكة . ذلك مقام أبي طالب في قريش .

ولا غرابة في أن يكون له في جزيرة العرب المقام الرفيع ،

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٥ ط مصر.

(٢) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٤٦١ مصر .

والصيت البعيد ، ذلك لمقامه في بلد كرمه الله تعالى ، فجعل أفئدة من الناس تهوي إليه ، وحجيج الخلائق يأوي لديه على كل ضامر من كل فج عميق ، ولقيامه في ذلك الحين بما اوجبه على نفسه من ضيافة فقراء الوفود ومساكينهم وأبناء السبيل ، حيث ينزلهم في دار رفادته ، ويرويهم ويروي الوفود كافة من سلسبيل سقايته ، ولدى انقضاء أيام الموسم ، يصدر الناس أشتاتاً إلى الأقطار عن جفان كالجواب وقدور راسيات ، ولا شك في أنّ الجمع المتفرق في انحاء الجزيرة عقيب تلك الأيادي التي هي طوق الهوادي كان يتلو سور حمده ، ويرتل آيات الثناءفي الحل والترحال ، وفي كل كور وبلد .

هذا نموذج بعض محامده ، وبه وبنحوه يمكنك ان تتصور منزلته ورفعة مقامه في جزيرة العرب ، ـ بذلك كله يعترف المؤرخون . يقول بلوغ الارب ج ١ ص ٣٢٤ ط ٢ كان أبو طالب حاكم قريش وسيدها ومرجعها في الملمات . ويقول الحديدي في شرح النهج ج ٣ ص ٤٦١ ط مصر ـ نحو ذلك ، وان السقاية كانت له ، وكذا في السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية ج ١ ص ١٧ ، وفي تاريخ الخميس ج ١ ص ١٧٧ ، والسيرة الدحلانية ايضاح ١ ص ١٦ ، أنّ الرفادة كانت له بعد أبيه ، وكذا اعترف المؤرخون بتقدمه في كمال النفس ، وناهيك ذلك أن سن القسامة[1]في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة فأثبتتها السنّة في الإسلام ، وحرم الخمر على نفسه فيها فجاء بذلك القرآن .

---

(١) القسامة بالفتح هي الأيمان تقسم على أولياء القتيل اذا ادعوا الدم بقال قتل فلان بالقسامة إذا اجتمعت جماعة من أولياء القتيل فادعوا على رجل أنه قتل صاحبهم وكان معهم إمارة غير البينة فحلفوا خمسين يميناً ان المدعى عليه قتل صاحبهم ، وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمون قسامة . أيضاً فهي مشترك لفظي في المعنيين ، وقد جاء استحلاف المدعي هنا على خلاف سائر الدعاوى للنصوص في خصوص المقام ، وللقسامة فصل استوفي الكلام فيه في الفقه في أثناء كتاب القصاص .

حياتــه العائليــة

١ ـ زوجته :

هي فـاطمة بنت أسـد بن هاشم ، تجتمـع في سلسلة النسب مع أبي طالب في هاشم ، ولم يذكر التاريخ له من الزوجات سواها .

(حليتهـا) كـانت فـاطمـة بنت أسـد من فضليـات الهـاشميـات ، بزغت في عصرها شمساً في سماء الكمال تنتقل في أبراجه .

شـرف حسب ، فكـرم محتـد ، فمكـارم أخـلاق ، فـذكـاء قلب ، فرجاحـة حجى . فطهـارة نفس ، فجمال ذات ، ففضيلة صفـات ، تلك حلية هذه السيدة الجليلة ولذا اختارها سيـد قريش ولم يستبـدل بها سـواها مدة حياته .

ولنذكر مفتتح حياته السعيدة معهـا ـ تقول نسخـة الخطبـة ـ قال أبـو طـالب . « الحمـد لله رب العـالمين ، رب العـرش العـظيم ، والمقـام الكريم ، والمشعر والحطيم الذي اصطفانا أعلامـاً وسادة ، وعـرفاء خلصـاً وقـادة ، وحجبة بهـاليل ، أطهـاراً من الخنـا والـريب ، والأذى والعيب ، وأقام لنا المشاعر ، وفضلنا على العشائر ، نخب إبـراهيم وصفوتـه ، وزرع إسمـاعيـل ، وقـد تـزوجت فـاطمـة بنت أسـد ، وسقت المهـر ،وأنـفذت

الأمر ، فاسألوه واشهدوا »، فقال أسد : زوجناك ورضينا بك .

وأولم أبو طالب سبعة أيام متوالية ينحر فيها الجزر ، وفي ذلك يقول أمية بن السلط :

أغمرنا عرس أبي طالب وكان عرساً لين الجانب
إقراؤه الضيف بأقطارها من رجل خف ومن راكب
فنازلوه سبعة أحصيت أيامها للرجل الحاسب

أغفل أهل السير والمؤرخون الكثير من أحوال هذه السيدة ، ولم يذكروا لنا غير اليسير منها ، ونحن أداء لحقها الواجب ، وإلماماً بأطراف الموضوع من جميع الجهات ، نذكر من أحوالها ما استفدناه من بطون دفاتر شتى ، ورشحات محابر عديدة .

أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين ، فكانت الحادية عشرة ، فهي من السابقات إلى الإسلام ، ولما أنزل الله سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾ الآية ، دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم النساء إلى البيعة فكانت هي أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبقيت بعد أبي طالب ، فهاجرت إلى المدينة جليلة في المؤمنات ، مقدرة صالحة تقية ، يزورها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقيل في بيتها ، وقد حضرت بدراً في قطار حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ثم مرضت فأوصت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل وصيتها . وتوفيت في السنة الرابعة من الهجرة في المدينة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليها ، وتولى دفنها بنفسه ، وألبسها قميصه ، واضطجع في قبرها ، وتمرغ به ، وبكى قائلاً : جزاك الله من أمّ خير ، لقد كنت خير أمّ فقال له بعض الحسدة : يا رسول الله ، ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت مع هذه المرأة ، فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها ، إنّي إنّما ألبستها قميصي

لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت معها في قبرها ، ليهون عليها ضغط القبر .

٢ ـ عقبه :

أعقب طالباً ، وعقيلاً ، وجعفراً ، وعلياً عليه السلام ، وهو أصغرهم سناً ، وكان بينه وبين جعفر عشر سنين ، وهكذا كان بين جعفر وعقيل وعقيل وطالب ، ومن الإناث أم هاني ، والكل من السيدة الجليلة فاطمة بنت أسد .

٣ ـ كفالته للنبي (ص) :

من نعم الله تعالى على هذه العائلة ، ومن منه على هذا البيت ـ بيت أبي طالب ـ أن أضاف إلى عائلة أبي طالب إنسان الهداية ، وصاحب شرف العرب ، النبي العربي * ذلك لمّا توفّي جدّه عبد المطلب ، وكان ذلك حوالي سنة ٥٧٨ ميلادية ، وعمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذاك ثمان سنين ، فانفرد أبو طالب في كفالته صلى الله عليه وآله وسلم ، وضمه إلى كنفه وأحلّه محلاً علياً من قلبه ، وأصغى إليه بوداده ، وقدمه في سائر الشؤون على كافة أولاده *[1] .

وكذا كانت تصنع معه صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت أسد ، تخصه بكل اعتناء ، وتفضله بالحباء ، وتحنو عليه بأفضل ما تحنو والدة على ولد ، فنشأ صلى الله عليه وآله وسلم بين هذه العائلة

---

(١) ** تستفيد ما بين هاتين الرادتين من مجموع كتب عديدة وهي ، الإصابة ج ٤ ص ٣٨٠ ، ط ١ في مصر والإستيعاب ج ٢ ص ٧٧٤ . ط ١ في حيدر أباد دكن ، وشرح النهج الحديدي ج ١ ص ٥ ، ط دار الكتب العربية الكبرى في مصر ، وفصول ابن الصباغ ص ١٥ ، ط سنة ١٣٠٣ في طهران ، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٥٢٦ سنة ١٣٠٢ ومقاتل الطالبيين ص ٤ ، ط سنة ١٣٠٧ في طهران .

في حجري أبي طالب وبنت أسد ، وشب في ذلك البيت الرفيع العماد ، الذي سبق بعنايته تعالى أن يخرج منه الهدى والنور للعالم بأسره . فيا له من بيت شرف الله تعالى مقامه ، وأقام دعامه وأجل شأنه ، وفضّله على بيوتات العالمين ، وما أَطيب نشره ، وأنمى غرسه ! منه عبق طيب النبوة ، فعطر المشرق والمغرب ، وفيه نما غرس الوصاية ، وبه أكمل الله الدين وأتم النعمة .

فلك أبا طالب سعادة الأبد ، في ابن أخيك نبيّ العالم ، وعظيم بني آدم ، ولك الغبطة في أهلك وولدك ، أبطال السيف والقلم ، وأقطاب رحى العلم والحكم ، فأنت بما اوتيت من هذه السعادة جدير بأن يخلد ذكرك ما خلد الدهر ، وما هتف باسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما تلا قرآنه قانون الابد ، وتبيان كل شيء.

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣١٣.

مهمّاتـه وآمالــه

نـذكر من مهماتــه أهمهـا ذكـراً ، وأجلهـا منفعـة لبني الإنسـان ، وأعظمها قدراً .

كانت مهمته الـوحيدة ، حينمـا انفرد بكفـالة النبي صلى الله عليـه وآله وسلم ، العناية التامـة بخدمـاته صلى الله عليـه وآله وسلم ، والقيـام بـواجبها أحسـن قيـام ، على حسب ما تقتضيـه عقـود عمـره صلى الله عليه وآله وسلم ، ذلك لما آنس منـه الإستعداد الـذي امتاز بـه عن سائـر البشر ، ولما تفرس به مخائل سيادة العالم .

العقـد الأول ـ:

عني في تـربيته الجسـدية جـداً ، كما يـظهر لنـا من السيـر . وفي ذلـك العقد ظهـر من مواهب محمـد صلى الله عليـه وآلـه وسلم مـا بهـر شيـوخ الحنكة ، وأدهش فـلاسفة العـالم ، ولذا كـانت آمال أبي طـالب تـزداد فيه صلى الله عليـه وآله وسلم شيئـاً فشيئاً ، الأمـر الـذي كـان من شأنه ان يستأنف نشاطـه في النهوض بمهمـات النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم والقيام بخدماته .

ـ العقد الثاني ـ :

لمـا بلغ النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم الثـانيـة عشـرة من سنيٍّ

عمره ، سار به أبو طالب إلى الشام[1] ليوقفه على أحوال الأمم المختلفة ، والأقطار النائية المغايرة لإقليم قطره ، تلك أصول التربية والتعليم . والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان في غنية عن هذا بما آتاه الله من فضله ، غير أنّ أبا طالب أراد القيام بواجب التربية .

إنّ في سفر كمثل هذا السفر ، لمثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم العلم الكثير ، والفوائد الجمة ، معرفة أحوال قرى ومدن ، ومواقع جغرافية ، ومختلفات سير أمم وشعوب ، واطلاع على عادات ومعتقدات ، ومحور سياسة ملوك ، وميول رعايا ، واستكشاف آثار أمم ماضية ، وقرون خالية ، وهذا ونحوه مدعاة للإستبصار والنظر والإمعان بالفكر .

في ذلك السفر الميمون ، فتحت في وجه أبي طالب الآمال الجسام ، ذلك بما سمعه من الرهبان أمثال بحيرا ، مما سيكون لابن أخيه من الشأن والعظمة ، في الأرض والسماء ، وبما شاهده بأمّ عينه مما حصل لابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم من خوارق العادات ، نظير تظليل الغمام له ، وبهذا تحقق ما كان يسمعه قبل ذلك من أبيه عبد المطلب في شأنه صلى الله عليه وآله وسلم .

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرابعة عشرة أحضره أبو طالب معه في حرب فجار البراض[2]، وهي حرب هاجت بين كنانة وبين قيس ، فعاونت قريش كنانة ، ذلك ليريه كيف تكون منازلة الأقران ومقارعة الفرسان .

ـ العقد الثالث ـ:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخامسة والعشرين ،

---

(١) طبقات ابن سعد ، ج ١ ص ٧٦ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ١ ص ١٢٧ ط مصر .

كان همّ أبي طالب الوحيد جعله مستقلاً في الإدارة ، وطفق يرتأي ويفكر في إيجاد ، ثروة له صلى الله عليه وآله وسلم تصلح لإدارة شؤونه ، ليكون مكفول المؤونة في المعاش، فيتفرغ صلى الله عليه وآله وسلم للسعي وراء ما كان يتوسمه به أبو طالب من سيادة العالم بتقلده للوسام الإلهي ، وضروريّ أن الثروة أعظم معين في النوائب ، وعند ملاقاة الشدائد والأهوال .

بعد النظر العميق رأى أنّ أحسن شيء لما يحاوله وأقربه إنتاجاً ، أن يوجد صلة تجارية ، ومشاركة في الأرباح بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين خديجة بنت خويلد سيدة القرشيات في عصرها حسباً ونسباً وهدياً وكمالاً ومالاً ، وجمالاً ، ذات الثراء والخول والإماء ، والتجارة الواسعة في ذلك المحيط ، وكان نظر أبي طالب في ذلك وجلّ قصده انتقال ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم مع خديجة من الصلة التجارية إلى الصلات الروحية ، فتكون خديجة وما ملكت يدها في قبضته صلى الله عليه وآله وسلم ، لما يعلمه يقيناً من أن السيدة الجليلة ، سوف يشغل فراغ قلبها حب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما تراه منه مضافاً إلى ما تسمعه عنه في المعاشرة والمعاملة من كمال ذاته ، تزى يمن طلعة ، وغرة جبين ، وصدق حديث ، وسجاحة أخلاق ، وسماحة نفس ، وعز عشيرة ، وطيب سريرة ، وحسن سمعة ، وجميل أحدوثة ، ووفور حجى ، وقدسيّ ذات ، وتفرد صفات .

تلك نظرية أبي طالب ، فلم يرد أن يكون مثل ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم خاطباً ، بل أراد أن يكون مخطوباً ، ولذا أعد الأسباب لتزويجه وثرائه في آن واحد ، وأتى الأمور من أبوابها في مهماته له صلى الله عليه وآله وسلم شأن الوالد الشفيق الساهر على مصلحة ولده .

ولم يذكر أبو طالب لابن أخيه الصادق الأمين ما مر بخاطره وما

فكر فيه وما دبر ، وإنّما ـ جاءه بطريق آخر هو عين الواقع على ما تقتضيه الحكمة والرزانة .

يقول في السيرة الحلبية ـ ج ١ ص ١٣٢ ـ إن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ابن أخي : أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان في القحط ، وألحت علينا سنون منكرة ـ شديدة الجدب ـ وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه إبل قومك قد حضر وقت خروجها إلى الشام للتجارة ، وهذه خديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في إبلها فيتجرون لها ، ويصيبون منافع ، فلو جئتها لذلك لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت لأكره أن تأتي الشام ، وأخاف عليك من يهود ، ولكن لا تجد لك من ذلك بدّاً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلعلها ترسل إليّ في ذلك ، فقال أبو طالب إني أخاف أن تولّي هذا العمل غيرك فتطلب أمراًمدبراً ، فافترقا فبلغ خديجة خبر ما دار بينهما فقالت : ما علمت أنه يريد هذا . ثم أرسلت إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت إنّي دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجالاً من قومك ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقي عمّه أبا طالب ـ فذكر له ذلك ، فقال : إنّ هذا لرزق ساقه الله إليك ، فخرج صلى الله عليه وآله وسلم بالتجارة إلى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه ميسرة ، ولما بلغ صلى الله عليه وآله وسلم بصرى باع السلعة التي خرج بها ، فربح ومن معه ربحاً ما ربح التجرة قط مثله بيمن طلعته صلى الله عليه وآله وسلم . وشاهد ميسرة أموراً حصلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هي من خوارق العادات ، لا يكون مثلها إلاّ لمن خصه الله بالعناية التامة ، وفوق ذلك سمع من الرهبان في طريقه التبشير بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم ، فحدث ميسرة خديجة بذلك كله ، وكانت خديجة

رأت بأم عينها بعض ما حدّث به ميسرة ، الأمر الذي سجل صدق حديث ميسرة ، وبهذا تم لأبي طالب ما دبر ، حيث وقعت هذه السيدة الجليلة بهوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وكذا أضحت حائرة بين عاملين قويين ، دافع ومانع ، يدفعها الشوق المبرح لعرض نفسها على صاحب الفضيلة ، ويمنعها الحياء من أن تخطب لنفسها حتى إذا سئمت المقام والحالة هذه ، ورأت أن مثل ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب ولا يتحاشى من خطبته ، بالرغم عن معاكسة العادات والمراسم . ومر بخاطرها أن في الهيبة الخيبة ، وفي الحياء الحرمان ، ولذا أفضت بسرّها لإحدى صديقاتها ، وكانت تثق بها ، وصديقتها هذه نفيسة بنت منية ، قالت لها يا نفيسة : هل لك أن تستعلمي لي خفية حال محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلعله يرغب في مثلي ؟ فقالت نفيسة حباً وكرامة ، وتحملت نفيسة هذه الرسالة بنصح فجاءته صلى الله عليه وآله وسلم وقالت[1] ما يمنعك ان تتزوج ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم ما بيدي ما أتزوج به . فقالت فان كفيتك ذلك ، ودعوتك الى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تحب ؟ قال : فمن هي ؟ قالت : خديجة . قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت ، بلى ! وأنا أفعل ، فرجعت نفيسة ميمونة النقيبة في هذه الرسالة ، تحمل شرف الأبد لخديجة ، فأرسلت خديجة تعيّن له صلى الله عليه وآله وسلم الساعة التي يأتي فيها للخطبة وأرسلت لذوي رحمها فأحضرتهم ، وجاء رسول الله مع جمع من أعمامه وفيهم سيدهم أبو طالب ، وهو الذي زوجه .

فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضىء معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسوّاس حرمه ، وجعله لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا حكام الناس ، ثم

---

(١) السيرة الحلبية ١ ص ١٣٧ .

إنّ ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوازن بـه رجل إلّا رجـح به شـرفاً ونبـلاً وفضلاً وعقـلاً ، وإن كان في المـال قلّ ، فـإنّ المال ظـلّ زائل ، وأمر حائـل ، وعاريـة مسترجعـة ، وله والله بعـد هذا نبـأ عظيم ، وخـطر جليـل ، وقد خـطب إليكم رغبة في كـريمتكم خديجة وقـد بذل لهـا من الصداق ما عاجله وآجله اثنا عشر أوقيّة[1] ونشا .

فقـال ورقة بن نـوفل : وانتُم والله أهـل ذلـك كله لا ينكـر العـرب فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشـرفكم ، رغبتنا في الإتصـال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا عليّ معاشـر قريش أنّي قـد زوجت خديجـة بنت خـويلد من محمـد بن عبـد الله وذكـر المهـر . ـ فقـال أبـو طـالب احببت أن يشـركك عمهـا ، فقـال عمّهـا عمـر بن أسـد ، اشهـدوا عليّ معـاشر قـريش أنّي أنكحت محمـد بن عبـد الله خـديجـة بنت خـويلد ، فـأولم رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ونحـر الإبل وأطعم النـاس ، ففـرح أبو طـالب الفرح الشـديد ، وقـال :[2] الحمد لله الـذي أذهب عنا الكـرب ، ودفع عنّـا الغموم ، وكـذا بقي أبو طـالب بقيـة العقـد الثـالث وحتى أواخر العقد الرابع من سنّي عمـر النّبي صلى الله عليه وآلـه وسلم مغتبـطاً به صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، وبمـا سـاقـه الله إليـه من الخيـر الكثير ، بزواج سيدة القرشيات ـ ومن باب :

وإذا استـطال الشيء قـام بنفسـه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

---

(١) المستفاد من السيرة الحلبيـة ، ص ١٥٤ ط مصر سنـة ١٣٢٩ ـ من كـون الـدرهم معيـاراً لوزنـه الاوقية اربعـون درهماً والنشـا نصف الأوقية أي عشـرون درهمـاً ، وكـان ذلـك المسمى من الـذهب فيكون جملة الصّـداق خمس مائـة درهم شرعيـاً وذلك يسـاوي ١٧٥ ليرة عثمانية تقريباً في عصرنا هذا .

وأمـا المستفاد من كلمـات الفقهاء : أن الخمسـمـائة درهم هي نقـد فضي كان شـائـع الـوجود في ذلـك العصر ، وهي على هـذا التقـديـر لا تـزيـد عـلى ٥٠ ديـنـاراً تسـاوي خمسـاً وعشرين ليرة ذهباً تقريباً .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٩ .

لم نتعرض لشيء من أحوال هذه السيدة الجليلة التي لها الأيادي البيض على الإسلام ، على أنّ في ذلك خروجاً عن الموضوع أيضاً .

كان أبو طالب يزداد سروراً كلما ازدادت منزلة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في نفوس قريش ، غير أنّه بفارغ الصبر كان ينتظر يوماً يعطى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم الوسام الإلهي ، يوماً يهبط عليه الناموس الأكبر من لدن جبار السموات والأرض ويعقد على ذلك اليوم وما بعده الآمال الجسام ليقوم بواجب خدمته ، ويفوز بالسهم الأوفر من نصرته ، ولمّا كانت السنة الأخيرة من ـ العقد الرابع ـ تلك سنة أربعين من سني عمره صلى الله عليه وآله وسلم أكرمه الله بالرسالة في حراء بواسطة السفير جبريل ، حيث ناداه يا محمد : أنا جبريل وانت رسول الله لهذه الأمة ، ثم تتابع عليه الوحي .

ـ العقد الخامس ـ :

عندما أمر الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم بإظهار دعوته ، وذلك في السنة الرابعة من البعثة قال صلى الله عليه وآله وسلم لعمه العباس ـ كما في غاية السؤول عن إبراهيم الحنبلي بأسانيد عديدة ـ إنّ الله تعالى أمرني بإظهار أمري ، فما عندك ؟ فقال له العباس : يا ابن أخي ، تعلم أنّ قريشاً أشدّ حسداً لوالدك ، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطّماء ، والداهية العظمى ، ورمينا عن قوس واحد ، لكن قرب إلى عمك أبي طالب فإنّه أكبر أعمامك ، إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك ، فأتياه فلما رآهما أبو طالب قال : ما جاء بكما في هذا الوقت ؟ . فأخبره العباس بالحال ، فنظر إليه أبو طالب وقال : يا ابن أخي إنّك الرفيع كعباً ، والمنيع حزباً ، والأعلى أباً ، والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن جداد ، واحتدمته سيوف حداد ، والله لتذلن لك العرب ، ولقد كان أبي يقرأ الكتب جميعاً ، ولقد قال إنّ من

صلبي لنبياً لوددت أنّي أدركت ذلك فآمنت به ، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به ،الخبر .

وقد ذكر عند تفسير ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قام ليدعو أسرته عارضه أبو لهب كما هو مذكور في السير جمعاء فقال ابو طالب : اسكت يا أعور ! ما أنت وهذا ؟ ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قم يا سيدي وتكلم بما تحب ، وبلغ رسالة ربك فانك الصادق الصدّيق .

حينما أظهر الدعوة صلى الله عليه وآله وسلم وسفّه أحلام قريش في عاداتها ومعتقداتها ، رمته قريش عن قوس واحد ، وأخذوا يجتمعون ويتفرقون للنظر والرأي في إقناعه صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع عن سبيل الهدى ، وعملوا لذلك أعمالاً ذكرها التاريخ ـ منها ـ سعيهم إلى دار أبي طالب مراراً في طلب إسكاته صلى الله عليه وآله وسلم عن تعقيب ما نطق به ، وكان أبو طالب إذ ذاك يردهم حسبما تقتضيه الحكمة من شدة ولين ، وبذلك علموا أن أبا طالب سيمنع محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم بكل قواه ما دام فيه عرق ينبض ، وهالهم ما رأوه من دهائه في ترويج دعوته صلى الله عليه وآله وسلم من حيث يخفي بما أوتي من المواهب وما مر عليه من التجارب في معترك هذه الحياة .

تحققوا ذلك كله بما شاهدوه منه في مختلفات الجلسات ، وسمعوه عنه في شتى الآنات ، فتارة يأمر ابنه جعفر بالصلاة حيث رأى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وإلى جانبه علي عليه السلام فيقول لجعفر : صل جناح ابن عمك ـ كما أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة[1] وأخرى يقول لأخيه حمزة حينما أسلم :

---

(١) ج ٧ ص ١١٢ ط مصر سنة ١٣٢٥ .

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفّقت صابراً

وثالثة يخاطب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بعد مجيء القوم بصدد الإستعانة به على إسكاته صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر الدعوة فيقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّد في التراب دفيناً

إلى غير ذلك مما يطول تعداده ، لذلك كله اشتد الأمر واحتدم . وتوترت العلائق بين أبي طالب والقرشيين العتاة ، فأخذوا يؤذونه بإيذاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكل طريق ، وحين ظهر الإسلام في القبائل كبر ذلك على قريش فتضاعف أذاهم ، واشتوروا فيما بينهم على قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم علانية ، ولذا جمع أبو طالب بني هاشم وبني المطلب وأمرهم أن يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعب ، ليكون بذلك أمنع من جبهة الأسد ، وحين رأت قريش ذلك أجمع رأيهم على ان يكتبوا عهداً بتوقيع الجميع على أن لا يجالسوا بني هاشم والمطلب ، وأن يضيقوا عليهم بمنعهم من حضور الأسواق وأن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكتبوا هذه المعاهدة ووقع القوم عليها وعلقوها في الكعبة ، فمكث بنو هاشم في حصار الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين ، فأصابتهم ضائقة في العيش شديدة ، وقد أبلى أبو طالب عليه السلام وخديجة عليها السلام البلاء الحسن في تهيئة المؤن والأقوات الضرورية ، مدة الحصار كلها ، ولما أراد الله أن يكشف الغم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أسرته المرابطة المجاهدة بين يديه ، حيث لا ناصر سواهم ولا معين ، سلط على معاهدة قريش الأرضة فأكلتها ، وأوحى الله إلى رسوله بالأمر فأخبر عمه أبا طالب ، فأقبل أبو طالب على قريش وهم في أنديتهم وأخبرهم بما صنع الله

في صحيفتهم ، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك ، ثم قال : إن كان الحديث كما يقول ابن أخي فأفيقوا ، وإن لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا ، وإذ كان الذي يقول باطلاً دفعنا اليكم صاحبنا ، فقالوا قد رضينا بما تقول ، ثم فتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين ، وعندما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا هذا سحر ابن أخيك ، وزادهم ذلك بغياً وعتواً وعدواناً ، فقال لهم أبو طالب : علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر وتبيّن أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة؟ ثم دخل يمين أستار الكعبة ودخل معه بنو هاشم قائلين : اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ، ثم انصرفوا الى الشعب .

قال ابن الأثير في الكامل ـ ج ٢ ص ٣٦ ـ قال ابو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً منها :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبّر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

وآنئذٍ مشى في نقض الصحيفة ـ المعاهدة ـ نفر من قريش وهم هشام بن عمرو بن الحرث ، وزهير بن أمية ابن عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاتكة ، والمطعم بن عديّ وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وتمّ لهم ذلك بالرغم عن معاطس أبي جهل وأضرابه الذين أصروا على استمرار قريش في المقاطعة لبني هاشم والمطلب وارتفعت الشدّة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذوي رحمه ، فعادوا إلى ما كانوا عليه قبل الحصار ، كما هو مذكور على التفصيل في السير والتاريخ فراجع .

إنّ من مواقف أبي طالب الرهيبة في إرهاب قريش ، وكبح جماحهم ، وقمع شوكتهم ، وإرجاعهم بالقواسر الفعالة والقوة ، عما

كـــان يختلج في أفئـدتهم من آن إلى آخـــر ، من اغتيـــال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ما نقله عبد الـرحمن بن محمد ابن الجـوزي المحدث البغدادي عن الواقدي[1]، قال : قال الواقدي : كان أبـو طالب لا يغيب صبـاح النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم ومسـاءه ، وكـــان يحـرســـه من أعدائه ، ويخاف أن يغتالـوه ، فلما كـان ذات يوم فقـده فلم يره ، وجـاء المســاء فلم يره ، وأصبـح فطلبـه في مـظانـه فلم يجـده ، فجمـع ولـده وعبيـده ومن يلزمه في نفســه ، فقال : إن محمـداً فقد في أمسنـا ويومنـا هـذا ، ولا أظن إلا أنّ قريشـاً اغتالتـه وكادتـه ، وقد طلبتـه فلم أجـده ، وقد بقي هذا الوجه ما جئته وبعيد أن يكون فيـه ، ثم أعطاهم السكـاكين وفيهـم من عبيـــده عشـرون رجـــلاً ، ثم قـــال لهم ليمض كـــل رجـــل منكم ، ليجلس إلى جنب سيـد من سـادات قـريش ، فمضـوا وشحـذوا سكـاكينهم ، ومضى أبـو طـالب في الـوجـه الـذي أراده ومعـــه رهط من قومه ، وهو يقول : يـا لها من عـظيمة إن لم نـواف محمداً ، فـوجده في أسفل مكة قائماً يصلي إلى جـانب صخرة ، فـوقع عليـه أبو طـالب يقبله وأخـذ بيـده ، وقـال : يا ابن أخي ، ســر معي فـأخـــذ بيـده وجـــاء إلى المسجـد ، وقريش في نـاديهم جلوس عند الكعبـة ، فلما رأوه قـد جـاء ويـده في يد النبي صلى الله عليـه وآله وسلم ، قـالوا هـذا أبو طـالب قد جـاءكم بمحمد ، وإنّ لـه لشأنـاً ، فلما وقف عليهم والغضب يعـرف في وجهه ، قال لغلمانه : أبرزوا ما بأيديكم ، فـأبرز كـل واحد منهم مـا في يده ، فلما رأوا السكـاكين قالـوا ، ما هـذا يا أبـا طالب ، قـال : هو مـا تـرونـه ، إنّي طلبت محمداً صلى الله عليـه وآلـه وسلم فمـا رأيتـه منـذ يومين ، فخفت ان تكونـوا كدتمـوه ببعض شـأنكم ، فـأمـرت هؤلاء أن يجلســـوا حيث تـــرون ، وقلت لهـم : إن جئـت ومـــا مـحمـــد مـعي ،

---

(١) وقد ذكر هذا الموقف المشهور بتعبيرأخصر مما نتلوه هنا ، كاتب الواقدي محمد ابن سعد في الجزء الاول من طبقاته الكبيرة ص /١٣٥ ط /١ ليدن .

فليضرب كل واحد منكم صاحبه الذي إلى جنبه ، ولو كان هاشمياً ، فقالوا : وهل كنت فاعلاً ؟ قال إي ورب الكعبة ، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وكان من أحلافه : لقد كدت أن تأتي على قومك . قال : هو ذاك ، فاتقت قريش اغتياله صلى الله عليه وآله وسلم منذ ذلك اليوم ، ورجعت على أبي طالب بالإستعطاف ، وهو لا يحفل بهم ، ومضى وهو يقول :

إذهب بنيَّ فما عليك مخافة وابشر بذاك وقر منك عيوناً

ومن ذلك ما ورد عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال : قال علي عليه السلام : مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً ، فلم يسلم عليهم ، فلما انتهى إلى دار الندوة ، قالوا يمر علينا يتيم أبي طالب ولم يسلم ، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه ، فقال عبد الله بن الزبعرى : أنا أفعل فأخذ من فرث الجزور ودمه ، وانتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد ، فألقاه عليه ، فملأ به ثيابه فانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى عمه أبا طالب ، فقال : يا عم ، من أنا ؟ فقال : ولم يا ابن اخي ؟ فقص عليه القصة ، فقال : وأين تركتهم ؟ فقال : في الأبطح ، فنادى في قومه يا آل عبد المطلب ، يا آل هاشم ، يا آل عبد مناف ، فأقبلوا عليه من كل مكان ملبين ، فقال خذوا سلاحكم ، وأخذ سيفه ، ثم توجه نحو القوم ، فلما رأوه وقد سل سيفه جعلوا ينهضون ، فقال والله لئن قام أحد جللته بسيفي ، ثم قال يا محمد أيهم آذاك ؟ فأشار بيده صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابن الزبعرى ، فدعا به أبو طالب ، فوجأ أنفه حتى ادماها ، ثم أمر حمزة بأن يأتيه بفرث ودم ، فأمرّهما على رؤوس الملأ ، ثم قال يا ابن أخي أرضيت ؟ قد سألت من انت ؟ أنت محمد بن عبد الله ، وذكر النسب ، ثم قال : انت والله أشرفهم حسباً ، وأرفعهم منصباً ، يا معشر قريش : من شاء منكم أن

يتحرك فليفعل ، أنا الذي تعرفونني ، وأنشأ يقول ويومىء بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

انت النبي محمد ... قرم أغر مسود[1]
لمسودين أكارم ... طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها ... عمرو الحطيم الأوحد
هشم الربيكة في الجفا ... ن وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة ... فيها الخبيزة تشرد
ولنا السقاية للحجيج ... بها يمات العنجد
والمأزمان وما حوت ... عرفاتها والمسجد
أنى تضام ولم أمت ... وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى ... فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم ... أسد العرين توقد
ولقد عهدتك صادقاً ... في القول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب ... وأنت طفل أمرد

ولقد سطر التاريخ لأبي طالب ذبه ودفاعه عن مستضعفي المسلمين ، وذكر غضبه الشديد عند إيذاء قريش لهم ، وروى أشعاره في ذلك .

يقول محمد بن إسحق في كتاب المغازي إن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الإسلام ، هرب منهم ، فاستجار بأبي طالب ، وقد كانت والدة أبي طالب مخزومية فأجاره ، فمشى إليه رجال من بني مخزوم وقالوا : يا ابا طالب ، هبك منعت منا ابن أخيك محمداً ما بالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم

---

(١) ذكر هذه الأبيات ايضاً الحديدي في شرح النهج ج ٣ ص ٣١٥ .

امنع ابن أخي ، فأكثروا النزاع وارتفع الصوت واللغط فخافوا الفتنة فانصرفوا .

ويقول مجمع التواريخ : إنّ قريشاً لما رأت ضعفها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنصرة أبي طالب له ، أخذ يعذب كل قوم من عندهم من المؤمنين ، ويحثونهم على الرجوع عن دينهم ، وأبو طالب يناجز قريشاً على ذلك .

وهاك أبياتاً قالها أبو طالب ، وقد غضب لعثمان بن مظعون لما ظلمه المشركون :

أمن تذكر دهر غير مأمون ... أصبحت مكتئباً تبكي لمحزون[1]
أمن تذكر أقوام ذوي سفهٍ ... يغشون بالظلم من يدعى إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما أمروا ... والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا يرون - أذلّ الله جمعهم - ... إنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون ولا يخشون مقلته ... طعناً دراكاً وضرباً غير موهون
فسوف نجزيهم إن لم نمت عجلاً ... كيلاً بكيل جزاء غير مغبون
أو ينتهون عن الأمر الذي وقفوا ... فيه ويرضون منا بعد بالدون
ونمنع الضّيم من يبغي مضامتنا ... بكل مطرد في الكف مسنون
ومرهفات كأنَّ الملح خالطها ... يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تقرّ رجال لا حلوم لها ... بعد الصعوبة بالإسماح واللين
أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب ... على نبي كموسى أو كذي النون
يأتي بأمر جليّ غير ذي عوج ... كما تبين في آيات ياسين

---

(١) ذكر الحديدي جملة منها في شرح النهج ج ٢ ص ٣١٣ .

إسلامه ، السر في كتمه
منزلته عند الله تعالى

علم أهل القبلة كافة ، أنّ أهل البيت عليهم السلام مجمعون على اسلام ابي طالب ، وإجماع أهل البيت حجة بالغة ، وآية محكمة ، فإنهم معصومون منزهون عن كل ريب بنص القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾.

على أنّ في شعر أبي طالب الدلالة الصريحة على إسلامه ، وقد وقفت على جملة منه ومن نثره ، وستقف على جمل أخرى تدعم ما قلناه ، غير أن أبا طالب تستر في إسلامه عن قريش لمصلحة الإسلام ، وللقيام بخدمات سيد الأنام ، ولو أن أبا طالب جاهر بمعتقده امام عتاة قريش لهانت عليهم إهانته ، ولخفروا ذمامه في جميع أدواره مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولرموه عن قوس واحد ، كما رموا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كانت له المنزلة السامية في نفوسهم قبل إظهار الدعوة ، وهذا التستر من الضروريات الأولية لمثل أبي طالب ، وهو الذي حنكه الدهر ، وعلمته التجارب ، وراضته سياسة العرب ، وأفهمته من أين تؤكل الكتف ، هذا هو السر في كتمه الإسلام وتظاهره بحياطة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

لصرف كونه ابن أخيه ليس إلاّ ، وربما ظهرت لهم عقيدته ، وتبينت على أسلات لسانه في النظم والنثر ، بنوع من الإجمال في موارد ، ليبقى له في توجيه كلامه عند قريش مجال ، ولم يكن هذا التكتم والإبداء، إلا لما توحيه إليه فطنته وتقتضيه حكمته ، في متفرقات الأحوال بالنظر لمصلحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إنّ لأبي طالب المكان الرفيع ، والجاه العظيم ، ومقعد صدق عند مليك مقتدر ، ولم ينل ذلك إلا بكفاءة واستحقاق ، أهل لذلك هو أهل ومحل ، لخدماته لقوة إيمانه وإسلامه ، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول (إنّ أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله تعالى) ويقول الصادق جعفر عليه السلام (إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ، واليك ما ورد عن الباقرين الصادقين عليهما السلام (لو وضع ايمان أبي طالب في كفة وإيمان الخلق في الكفة الأخرى لرجح ايمانه ، كل ذلك بطرق صحاح معتبرة ، وإذن ، فإسلام أبي طالب على خلاف ما يظنه ذوو الأغراض والتعصب الممقوت ، أو الأغبياء المقلدون لمن سلف ممن استخدمتهم السياسة الأموية ، واستهواهم زبرجها ردحاً من الدهر وللكلام صلة قبيل تزييف شبه المشككة في إسلامه ، على ما سيمر عليك قريباً إن شاء الله تعالى .

مكانتـه الأدبيـة

١ ـ صناعتا النظم ، والنثر ـ :

قـد وقفت على شيء من نـظمـه ونثـره ، وسنـوقفـك على جمـل أُخرى في محلها ـ إنشـاء الله تعالى ـ ممـا اتفق عليه مؤرخـو الإسلام من الخـاصة والعـامة ، وثمـة تـرى أنّ لـه اليـد الـطولى والقـدح المعلّى في تينك الصناعتين ، ترى عسجديـة معنى ، ودرية نـظم ، ورصانـة شعر ، فحسن سبك ، وجودة حبك ، فلطف أسلوب .

٢ ـ اخلاقه ـ :

يمكننـا أن نفهم أنّـه كـان على جـانب عـظيم من الأخـلاق ، من مكـانته العليـا في قـريش ، واجتمـاعهم على سيـادتـه ، وسيـطرتـه على أجسـامهم وأفئدتهم ، وهـذا لا يكون إلا بمكـارم الأخلاق . ﴿ ولـو كنت فـظاً غليظ القلب لانفضوا من حـولك﴾ ، وفـوق ذلك قـد ضرب لنـا أبو طـالب المثل الأعلى في مكـارم الأخلاق ، ذلـك بمتابعتـه ومبايعتـه على المـوت لمن نشأ في بيتـه بمنزلـة أحد ولـده محمـد صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، ولم تـأخذه العـزة في النزول على حكم ابن أخيـه في مـطاردتـه في الليل والنهار ، في سبيل حياطته والمحافـظة عليه، في امتثـال أوامره ونواهيه ، حتى لفظ نفسـه في النفس الأخير من حيـاته ، هـذا وهو شيـخ الأبطح وسيد قريش .

إذن ، فلنقل بحق إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ير أكرم من أبي طالب أخلاقاً ، ولا أطلق وجهاً ، ولا أطيب عنصراً ، ولا أحلى معاشرة ، ولا احمى جواراً ، ولا أحفظ ذماراً ، ولا أسخى كفاً ، ولا أحمى أنفاً ، ولا أعز جانباً ، ولا أصدق لهجة ، فسبحان من خلقه مثلاً في المكارم ، وسواه معدناً في المراحم .

٣ ـ شعره ـ :

نحن إذا صرفنا النظر عما اختلف في نسبته إليه من المنظوم ففيما هو المتفق عليه كفاية ، فمن ذلك قوله :

خليليّ ما أذني لأوّل عاذل ... بصفواء في حق ولا عند باطل[1]
خليليَّ إنّ الرأي ليس بشركة ... ولا نهنه عند الأمور البلابل
ولما رأيت القوم لا ودّ عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّهم ... يعضّون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياماً معاً مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يُقضْى خلفه كل ناقل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملحٍّ ببباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة تربو على المائة بيت تجدها مذكورة مع شرحها في كتاب لب لباب لسان العرب ، وذكرها ايضاً عبد الملك بن هشام في السيرة ج ١ ص ١٦٧ ط ٢ في مصر ونقلها ناسخ التواريخ ، واورد ابياتاً منها الألوسي في بلوغ الإرب ج ١ ص ٣٥٩ ط أولى ، وتجد عدة أبيات منها في شرح النهج الحديدي ج ٢ ص ٢١٥ و٢١٦ ط مصر ، وأتى على أبيات منها العلامة الدحلاني في أسناه ص ١١ ، وقال وفي القصيدة أبيات كثيرة تدل على إيمانه وتصديقه ثم قال : قال ابن كثير هذه القصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه وهي أفحل من المعلقات السبع ، وأبلغ في تأدية المعنى .

كذبتم ـ وبيت الله ـ نبزى محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتى نصرّع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وحتى نرى ذا الردع يركب ردعه من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وينهض قوم بالحديد إليكم نهوض الرّوايا من طريق جلاجل
وإنا وبيت الله من جد جدنا لنلتبسنْ أسيافنا بالأماثل
بكل فتى مثل الشهاب سميدع أخي ثقة عند الحفيظة باسل
وما ترك قوم ـ لا أبالك ـ سيدا يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلّاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان صدق لا يخيس شعيرة ووزّان حق وزنه غير غائل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا نَعْبا بقول الأباطل
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد وأحببته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسي دونه فحميته ودافعت عنه بالذرى والكواهل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها وشيناً لما عادى وزينَ المحافل
وأيّده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير باطل

ومنه قوله في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش عهداً على مقاطعة بني هاشم :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا لؤيّاً وخصّا من لؤيٍّ بني كعب(١)
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب(٢)
وأنّ عليه في العباد محبة ولا حيف فيمن خصه الله بالحب

(١) ترى هذه الأبيات في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٥ ط ٢ وتراها ايضاً في شرح النهج الحديدي ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) قال العلامة الدحلاني في اسناه ص ١٠ عندما ذكر هذا البيت ما هذا لفظه ـ هذا البيت من قصيدة لابي طالب قالها في زمن محاصرة قريش لهم في الشعب وهي قصيدة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق بنبوته وشدة حمايته له والذب عنه .

وأنّ الـذي رقشتم في كتـابكم ... يكـون لكم يومـاً كـراغيـة السقب
أفيقوا ، أفيقوا قبل أن يحفر الثـرى ... ويصبح من لم يجن ذنباً كـذي ذنب

ولا تتبعـوا أمـر الغـواة وتقـطعـوا ... أواصـرنـا بعـد المـودة والقـرب
وتستجلبـوا حـربـاً عـوانـاً وربمـا ... أُمـرّ على من ذاقـه حَلَبُ الحـرب
فلسنـا ورب البيت نسلم أحمـدا ... لعزّاء[1]من عضّ الزمـان ولا كرب
ولمـا تبن منـا ومـنكـم سـوالف ... وأيـدٍ اترت بـالقسـاسيـة[2]الشهب
بمعتـرك ضنـك تـرى قصـد القنـا ... به والضباع العرج تعكف كالشرب
كـأن مجـال الخيـل في حجراتـه ... وغمغمـة الأبطال معـركة الحـرب
أليس أبـونـا هـاشم شـد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبـالضرب ؟
ولسنـا نمـل الحـرب حتى تملّنـا ... ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب
ولكننـا أهـل الحفـائظ والنـهى ... إذا طـار أرواح الكماة من الـرعب

وقـولـه :

والله لن يصلوا إليـك بجمعهـم ... حتى أوسَّـد في التـراب دفينـاً[3]
فاصدع بأمرك مـا عليك غضـاضة ... وابشـر بـذاك وقـرّ منـك عيـونـاً
ودعـوتني وعلمت أنـك صـادق ... ولقـد صـدقت وكنت ثَمَّ أمينـاً
ولقـد علمت بـأنّ دين محمـد ... من خيـر أديـان البـريـة دينـاً

وقولـه :

إذا جمعت يـومـاً قـريش لمفخـر ... فعبـد منـاف سـرهـا وصميمهـا[4]

---

(١) في القاموس العزاء السنة الشديدة .

(٢) القسـاسية كما في القاموس سيوف منسـوبة الى معـدن بأرمينيـة يقال لـه القساس كغراب .

(٣) ذكر هذه الأبيات الدحـلاني في أسناه ص ١٠ ، وأوردهـا الثعلبي في تفسيره فقـال قد اتفق على صحة نقل هـذه الأبيات عن أبي طـالب مقاتـل وعبد الله بن عبـاس والقاسم بن مخيمـرة وعطا بن دينـار ، وأدرج ابو الفـداء المؤيد بيتـاً واحداً منهـا في تـاريخـه ج ١ ص ١٢٠ حيث قال : ومن شعر أبي طـالب مما يـدل على أنـه كان مصـدقـاً لـرسـول الله قوله : ودعـوتني وعلمت أنك صادق ـ البيت ـ وتراها في السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤) أوردها ابن هشام في سيرته ج ١ ص ١٦٥ ط ٢ وذكرها الـدحلاني في أسنـاه ص ١١ فقال

وإن حصلت أنساب عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإنّ محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديماً لا نقر ظلامة إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

وقوله يحرض أبا لهب على نصرة النّبيِ صلى الله عليه وآله وسلم :

أبا عتبةٍ إنّ امرءاً أنت عمُّهُ لفي معزل من أن يسام المظالما[1]
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة تسب بها إمّا هبطت المواسما
أقول له وأين منه نصيحتي أبا عتبة ثبّتْ سوادك قائماً
وولِّ سبيل العجز غيرك منهمُ فإنّك لم تخلق على العجز لازماً
وحارب فإنّ الحربَ نصْفٌ ولن ترى أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما
كذبتم ـ وبيتِ الله ـ نبزى محمداً ولما تروا يوماً من الشعب قائماً

وقوله :

إنّ علياً وجعفراً ثقتي عند ملمّ الزمان والنّوب[2]
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمّي من بينهم وأبِي
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب

وقوله :

فلا تَسْفهوا أحلامكم في محمد ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم [3]

هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب الدالّة على تصديقه بالنبوة وبما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) في السيرة الهشامية ج ١ ص ٢٢٦ ، وفي شرح النهج الحديدي ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٣١٤ .

(٣) في الجلد نفسه ص ٣١٢ .

تمنيتموا أن تقتلوه وإنما ... أمانيكُم هذي كأحلام نائم
وإنكمُ والله لا تقتلونه ... ولما تروا قطفَ اللحى والجماجم
زعمتم بأنّا مسلمون محمداً ... ولما نقاذفْ دونه ونزاحم
من القوم مفضال أبيّ على العدى ... تمكن في الفرعين من آل هاشم
أمين ، حبيب في العباد مسوّم ... بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ... وما جاهل في قومه مثل عالم
نبيّ أتاه الوحي من عند ربه ... ومن قال لا، يقرع بها سن نادم

وقوله :

وقالوا لأحمد أنت امرؤ ... خلوف الحديث ضعيف السبب[1]
وإن كان أحمدُ قد جاءهم ... بصدق ولم يأتهم بالكذب
فإنا ومن حج من راكب ... وكعبة مكة ذات الحجب
تنالون أحمد أو تصطلوا ... ظباة الرّماح وحدّ القضب
وتعترفوا بين أبياتكم ... صدور العوالي وخيلا شزب
عليها صناديد من هاشم ... همُ الأنجبون مع المنتجب

٤ ـ نثره ـ :

مر عليك شيء منه ونذكر لك هنا وصيته التي ذكرها جمع من المؤرخين كالألوسي في بلوغ الأرب[2] والديار بكري في تاريخ الخميس[3] والدحلاني في إسناده[4] والحلبي في سيرته[5] .

تقول نسخة بلوغ الأرب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي إنه لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش ، فأوصاهم

(١) فيه ايضاً ص ٣٠٩ .
(٢) ج ١ ص ٣٢٧ و٣٢٨ ط الثانية .
(٣) ج ١ ص ٣٢٩ ط اولى .
(٤) ص ٥ .
(٥) ج ١ ص ٣٥٢ ط مصر .

فقال : يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً الا أحرزتموه ، ولا شرفاً الا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية ـ يعني الكعبة ـ فان فيها مرضاة للرب ، قواماً للمعاش ، وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم ، فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل ، وزيادة في العدد ، اتركوا البغي والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعي ، واعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإنّ فيهما محبة في الخاص ، ومكرمة في العام ، وإنّي أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان ، وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وايم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف ، والمستضعفين من الناس ، قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، إذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها وأصفت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ، ولو كان لنفسي مدة ، وفي أجلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ، ولدفعت عنه الدواهي. هذا ما جاء في بلوغ الأرب ، وزاد في روضة الواعظين قوله : غير أني أشهد بشهادته وأعظم مقالته .

تاريخ وفاته

لا يمكننا البت بضرس قاطع في تعيين السنة التي توفي فيها ، لاختلاف المؤرخين في ذلك تبعاً لاختلاف الروايات ، لكن يمكننا أن نرجح أنها كانت في السنة العاشرة من البعثة ، نظراً إلى ترجيح الأخبار التي حكت وفاته في السنة العاشرة ، ولذا ذهب الأكثرون الى ذلك ، ففي السيرة الحلبية توفي أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وبعد مضيّ عشر سنين من البعثة ، وفي تاريخ أبي الفداء ، مات أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة ، وفي بلوغ الأرب قال الواقدي : وتوفي أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وفي تاريخ الخميس عن السيرة اليعمرية مات أبو طالب في السنة العاشرة من النبوة ، وفي كامل ابن الأثير توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وبعد خروجهم من الشعب توفي أبو طالب في شوال أوفى ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة ، وقال ابن هشام في سيرته: مات أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقال ابن الجوزي كما في تاريخ الخميس مات أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وفي البحار في باب دخول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشعب وفي السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب ، وعن قصص الراوندي توفي أبو طالب في آخر السنة العاشرة من مبعث

رسـول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، وقال الـطبـري ثم إنّ أبـا طـالب وخديجة هلكـا في عام واحـد قبل الهجـرة بثلاث سنين ، وفي الـطبقات لابن سعـد توفي أبـو طالب في السنـة العاشـرة من حين بعث رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم واختلفت كلمـات الأقلين فـردد بعض وفـاتـه بين التـاسعة والعـاشرة ، واختـار بعض كونهـا في الثامنـة ، ونسب القول بها في العاشـرة إلى القيل ، يقـول الدحـلاني في سيرتـه كانت وفـاة ابي طـالب في التـاسعـة او العـاشـرة من النبـوة ، ويقـول ابن عبـد البـر في استيعابه : توفي أبو طـالب في السنة الثـامنة وقيـل في العاشـرة من مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن هـذا ونحوه يتمكن المـطلع من ترجيـح قول الأكثـر ، ذلـك عندما يرى من الإختلاف والإضطراب في قول الأقلين .

النبي (ص) يؤبّن أبا طالب

إنّ فقد أبي طالب ، وإن عمّ وقعه شعوب قريش وقبائلها جمعاء ، وعز سمعه على الجميع ، وخص آل هاشم وبني عبد المطلب وآل أبي طالب ، غير أنّ ذلك المصاب اختص بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم علاوة على ذلك بالخصوص ، فان علاقتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الودية والسياسية الصميمتين كانتا مقصورتين على أبي طالب ، فبفقده فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباً عطوفاً ومستشاره الوحيد في مهمات اعماله ، وبدفنه دفن جميع آماله المعجلة في أم القرى ، وهذه الخصوصية الثانية لم تكن لسواه صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب ، فآل عبد مناف وإن شاركوه في التأثر لفقد أبي طالب من حيث المحبة والرحم كل بحسبه فيهما ، غير أنهم لم يشاركوه في الجهة الثانية ، ولقد نهض أبو طالب يوم كان بواجب العلاقتين أيّما نهوض . فإن أبا القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي ميزه أبو طالب بمحبته ، ومحضه نصحه وآثره بإعزازه ، واختصه بنصرته ، فكم جاهد بين يديه وجالد ، وكم أغضب وأُغضب في سبيله وباعد ، فكان بذلك كله أباً رؤوفاً، وبراً عطوفاً ، يفدي النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بنفسه وأهله وماله وولده ، ويجد بذلك كله قرة عين ويرد فؤاد ، وجذل ظفر ، وصفقة

ربح ، فلذلك اختص المنقذ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالخصوص بجليل رزئه وفادح خطبه وألم مصابه وعليه فهل يستبعد من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقوفه في مواطن عديدة لتأبين عمه قياماً بواجب شكره واداء لحق إحسانه وبره .

نعم : قام صلى الله عليه وآله وسلم في مواطن كثيرة يؤبنه ويبكيه ويعدد نعمه عليه وأياديه ـ فمنها ـ عندما وقف عليه وهو مسجى فقال[1]يا عم كفلت يتيماً وربيت صغيراً ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً يا عم .

ـ ومنها ـ لما رفع نعشه بعدما غسله عليّ عليه السلام وحنّطه وكفنه بأمر[2]النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث خرج صلى الله عليه وآله وسلم ليشيعه فاعترض النعش وقال[3]برقة وحزن وكآبة ـ وصلت رحماً وجزيت خيراً يا عم ، فلقد ربيت وكفلت صغيراً و نصرت وآزرت كبيراً .

ومنها ـ : حين وضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمه في لحده فإنه بكى وقال:[4]واأبتاه ، واأباطالباه ، واحزناه عليك يا عماه كيف أسلو عنك ، يا من ربيتني صغيراً ، وأجبتني كبيراً ، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة ، والروح من الجسد .

---

(١) رواه ابن بابويه في الأمالي مسنداً.

(٢) قال في أسنى المطالب ص ٢٤ ، فمن الصحيح ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علي عليه السلام قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ، وفي الصحيفة نفسها قال وفي السيرة الحلبية ان هذا الحديث اخرجه ايضاً ابو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي عليه السلام وذكر الحديث نفسه .

(٣) رواه المجلسي عن المفيد ، وفي الإصابة ج ٧ ص ١١٣ ط مصر سنة ١٣٢٥ ذكره ابن حجر بتصرف واختصار .

(٤) يرويه البكري في كتاب مولد امير المؤمنين عليه السلام .

هـذه الكلمات هي من جـوامـع الكلم اغنت عن جمـل مـطولـة ، وخطابات مفصلة ، فقـد مر صلى الله عليـه وآله وسلم على تـأريخ حيـاة عمـه أبي طالب معـه في حسن الرعـاية وجلِيـل العنايـة بكلمات اربـع ، كفلت ، ربيت ، أجبت ، نصرت .

وانت إذا رجعت الى قـولـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم (وكنت عنـدك بمنزلـة العين من الحدقـة والـروح من الجسـد) ، علمت مقـدار حفـاظه ومحـافظتـه وحياطتـه لـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، وبحق أن التـاريخ لـو لم يذكـر عن أبي طالب شيئاً لعرفنـا التفـاصيـل كلهـا بهـذه الكلمات الوجيزة ، ولكانت هي وحـدها تتكفـل شرح مـا هو مبهم لـدينا من أحواله .

إنّ النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم لم يكن ليقتصـر على ذكـره لأبي طـالب في هذه المـواطن فحسب ، بل مـا زال يذكـره ويشكره مـدة عمره ، ويرشدك إلى ذلك ما سيمر عليك قريبـاً إن شاء الله تعـالى تحت عنـوان ، ليس للنبي مقام في مكـة بعد أبي طـالب ، ومن ذلك أيضـاً ما ذكـره ابن أبي الحـديـد في شـرح النهـج ج ٣ ص ٣١٦ ، مـن أنّ أعـرابياً جـاء إلى رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم في عـام جـدب فقال : أتيناك يـا رسول الله ولم يبق لنـا صبي يرضـع ولا شارف يجتـر ، ثم أنشد :

أتينـاك والعـذراء تـدمى لبـانهـا ... وقد شغلت أمّ الرضيع عن الطفـل
وألقى بكفيـه الفتى لاستكـانـة ... من الجـوع حتى لا يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العاميّ والعلهز الفسل
وليس لنـا إلا اليـك فـرارنـا ... وأين فـرار الناس إلا الى الرسـل

فقام النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم يجر رداءه حتى صعـد المنبر فحمـد الله وأثنى عليه وقـال : اللهم اسقنا غيثـاً مغيثاً مـريئاً هنيئـاً مربعـاً سحـاسحاً ، لا غـدقـاً طبقـاً دائمـاً درراً ، تحيي بـه الأرض ، وتنبت بـه

الزرع ، وتدر به الضرع ، واجعله سقياً نافعاً عاجلاً غير رائث ، فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده الى نحره حتى القت السماء أرواقها وجاء الناس يضجون : الغرق الغرق يا رسول الله ، فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه . من ينشدنا قوله ؟ فقام علي عليه السلام فقال : يا رسول الله لعلك أردت : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ، فقال : أجل ، فأنشد أبياتاً من هذه القصيدة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لأبي طالب على المنبر ، ثم قام رجل من كنانة وأنشد .

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبيّ المطر
دعا الله خالقه دعوة ... اليه وأشخص منه البصر
فما كان إلا كما ساعة ... أو اقصر حتى رأينا الدرر
دفاق العزالي وجمّ البعاق ... أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمه ... أبو طالب ورواه غرر
به يسر الله صوب الغمام ... وهذا العيان ، وهذا الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد ... ومن يكفر الله يلقى الغير

فمن قوله صلى الله عليه وآله وسلم لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه ، تعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم شديد الغرام بأبي طالب ، كثير الذكر له ، ولذا تراه لأول مناسبة يذكره وهو على المنبر في ذلك المجتمع بأحسن الذكر ، ومن بقائه صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر حين أنه قد انتهى غرضه ، ومن استنشاده شعره في ذلك الحال يمكنك أن تستنتج استراحته صلى الله عليه وآله وسلم وارتياحه لذكره ، ولا يخفى ما في ذلك مع دوام

استغفاره له في الوقت نفسه ، من إكبار أبي طالب وتكبيره في أعين المجتمعين ، سيما إذا رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل وجهه فرحاً وسروراً بسماع منظومه ، ونحن نستظهر دوام ذكره له في خلواته ، ومع أصحابه ، وفي كل موطن من سير أحوال الصحابة معه صلى الله عليه وآله و في ترديد ذكر عمه بأدنى مناسبة ، فكأنّ حبه لذلك معلوم لديهم من حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم يتقربون إليه بدوام إيناسه بذكره ، ويرشدك إلى ذلك بيت الكناني المتقدم الذكر (فكان كما قاله عمه ابو طالب) البيت ، وما يروى[1] مسنداً عن ابن عباس أنه قال : جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي قحافة ، يقوده ، وهو شيخ كبير أعمى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تركت الشيخ حتى نأتيه ، فقال : أردت يا رسول الله أن يؤجره الله تعالى ، والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب مني بإسلام أبي ، ألتمس بذلك قرة عينك ، ونتبع ذينك بشاهد ثالث يقول ابن ابي الحديد ـ في شرح النهج ج ٢ ص ٣١٦ في شأن ابي عبيدة بن الحرث نقلاً عن السير والمغازي ـ إن عتبة بن ربيعة أو شيبة لما قطع رجل أبي عبيدة ابن الحرث بن المطلب يوم بدر أشبل[2] عليه عليّ وحمزة فاستنقذاه منه ، وخبطا عتبة بسيفهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة الى العريش ، فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن مخ ساقه ليسيل ، فقال يا رسول الله : لو كان أبو طالب حياً لعلم انه كان صادقاً في قوله :

كذبتم وبيت الله ـ نبزى محمدا ولما نطاعنْ دونه ونناضل
ونصره حتى نُصرّع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

---

(١) الإصابة ج ٧ ص ١١٣ ط مصر سنة ١٣٢٥ .
(٢) عطف عليه وأعانه .

فاستغفر رسول الله له ولأبي طالب ، وبلغ عبيدة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصفراء ، فمات فدفن بها رحمه الله تعالى .

هذه حالة الصحابة معه صلى الله عليه وآله وسلم كما ترى يذكرون عمه لأول مناسبة ، ولا نرى منشأ ثمة سوى ما قلناه .

تشريع صلاة الأموات بعد موت أبي طالب

للسائل أن يسأل أصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة عمّه أبي طالب أم لا ؟ والجواب هو ما أجاب به أبو الجهم بن حذيفة ، حيث سئل بعين هذا السؤال فقال : وأين الصلاة يومئذ ؟ إنما فرضت الصلاة بعد موت أبي طالب ، ولقد حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر عليّاً بالقيام بأمره وشيع جنازته ، روى ذلك أبو الفرج مسنداً ، وهذا من المسلمات . فقد روى أيضاً الموضح النسابة مسنداً : أنّ أبا طالب لما ، مات لم تكن الصلاة على الأموات مفروضة ، فما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه ولا على خديجة . لكن حزن عليه وشيع جنازته واستغفر له ، انتهى .

والذي عليه أهل السير وغيرهم ، أنّ وفاة خديجة كانت بعد وفاة أبي طالب ، ترى ذلك في سيرة الملا ، وسيرة اليعمري ، وفي حياة الحيوان ، والسمط الثمين ، وأسد الغابة ، والإستيعاب ، وأنت إذا أحرزت هذا ، يمكنك أن تستبده المطلب من جميع جهاته من طريق القوم بتقريب ما ستسمعه .

ففي تاريخ الخميس ، يقول صاحب الصفوة : ونزل صلى الله عليه وآله وسلم حفرة خديجة ، ولم يكن يومئذ سنت الجنائز والصلاة

عليها ، وفي السيرة الحلبية : ودفنت ـ خديجة ـ بالحجون ، ونزل صلى الله عليه وآله وسلم حفرتها ، ولم تكن الصلاة على الجنائز شرعت ، فمن هذا وذاك يتضح لك أنّ الصلاة على الجنائز إنما فرضت بعد موت أبي طالب .

يوم أبي طالب

من البديهي أنّ مكانة شيخ الأبطح في قريش ، وبروز شخصيته فيها ، هي وحدها مدعاة لأن يكون يومه يوماً مشهوداً ، ونحن لم نكتف بهذا التقريب فحسب ، هذا أبو الحسن البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام يقول : شققن النساء على ابي طالب الجيوب ، ونشرن الشعور ، وشمل الحزن جميع شعاب مكة وشعوبها

وقد ذكر السيد فخار بن معد في كتابه أبياتاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام يرثي فيها أباه منها :

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ، ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ ... فصلى عليك وليّ النعم

ليس للنبي (ص) مقام في مكة بعد أبي طالب

أجل ، بفضل حماية أبي طالب وحياطته ، تسنى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم البقاء في مكة بعد إظهار الدعوة ، وما أن غاب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجه أبي طالب حتى ظهرت في وجوه قريش صفحات الغدر ، وعلتها سمات المكر ، فقد خلا لهم الجو ، وتفرق جيش محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم ارتحل بيضة البلد ، ولفت أعلامه يوم غيب في الترب العمد ، وبذلك تهدم سوره المانع ، وتكهم سيفه القاطع ، واستوحد أبو القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا مانع ولا دافع ، ولذا عدوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم يؤذونه بصنوف من الأذى ، وقعدوا له كل مقعد ، وضعوا عليه العيون في كل مرصد ، وأخذوا يرمونه بالدواهي من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، ومن فوق رأسه الشريف ، ومن تحت قدميه ، وأقبلت الفواقر تترى كقطع الليل المظلم ، تترامى عليه في المضائق والمنفرجات ، وفي قمم الجبال الشاهقة ، وفي أعلى الأكمات ، وفي بطون الأودية ، وفي السهل والحزن ، وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا ونحوه حيث قال : (لم يؤذ نبيّ بمثل ما أوذيت به) .

لم تكن قريش لتحلم ببعض هذا في حياة عمّه ، بل ولا في

العشر من المعشار ، بل ولا في الواحد من الف ، ولذا كان صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يشكو بثه وحزنه ـ وفيما أحسب إنّه لبقايا اصحابه المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى الحبشة أو غيرها ـ فيقول[1]: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب . وعند اشتداد الأزمة وتفاقم الخطب بتهجمهم عليه المرة تلو المرة ، وإنزالهم به الضربة إثر الأخرى ، كان يستصرخ روح عمه الطاهرة ، ويستريح بالشكوى إليها ، فيقول : يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك[2]وفي أثناء تلك الشدائد أمره الله تعالى بالخروج من مكة . يروي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال جبريل : يا محمد ، أخرج من مكة فليس لك بها ناصر ، فخرج هارباً حيث ثارت به قريش حتى جاء إلى جبل يقال له الحجون فصار إليه .

ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٠ : جاء في الخبر أنّه لما توفي أبو طالب أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن اخرج من مكة فقد مات ناصرك .

ويخرج صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به ، فأبت نفوس الثقفيين الخبيثة الا الطغيان ، حيث امتنعوا عن نصرته وعن الإصغاء لدعوته ، وجبهوه بالرّد بأقبح صورة ، وناله منهم من الإحتقار ما الله به أعلم . ولما انقطع رجاؤه من ثقيف أراد صلى الله عليه وآله وسلم الإنسحاب بانتظام فأبوا عليه ، وأغروا به صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم ، فأخذوا يرمونه بالحجارة تارة ، ويقذعون في الشتم والسباب تارة أخرى ، حتى التجأ إلى بستان ، فعمد إلى شجرة ، فاستظل فيها ، والدمّ يسيل من ساقيه وقدميه لشدة وقع ما

(١) الطبري جلد ١ جزء ٢ ص ٢٢٩ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٣ .
(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٣ .

أصابه من الحجارة ، وهو يناجي الله سبحانه وتعالى شاكياً ، حيث يقول[1]: اللهم أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته امري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ! ولكنّ عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .

ثم قدم مكة وقومه على أشد ما كانوا عليه من خلافه ، ولما عرض نفسه على القبائل في الموسم يدعوهم الى الله تعالى ، أنشأوا ينظمون الحركات القوية ضد دعايته صلى الله عليه وآله وسلم ، وحيث لم ينجحوا في تمام تدابيرهم ـ ووقفوا على شيء من بيعة الأنصار المدنيين في العقبة ، ورأوا أنّ أمره لا يزداد إلّا علواً ، وشأنه إلا رفعة ، ودينه إلا انتشاراً مهما لجّوا في كفرهم ، ومهما وضعوا على دعايته العيون والأرصاد ، ومهما أوغلوا في تحقير أمره وتصغيره ـ طفقوا يرتأون الحيلة في قتله حذار تغلّبه عليهم ، فيما إذا كثر أعوانه ، وعقدوا لذلك اجتماعات خاصة ، وكان الإجتماع الأخير في دار الندوة ، فتبادلوا الآراء ثمة ، وبعد مخضها وقع الجميع على القرار النهائي في سفك دمه صلى الله عليه وآله وسلم ، فانتدبوا لهذا الأمر جماعة من بطون قبائل شتى ، ليضيع دمه باشتراك القبائل فيه ، لكن خلص النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كيدهم ومكرهم ، فإن الله تعالى أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الحين قرآناً يتلى فيما دار بينهم من المكر ، ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا**

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٧ ط ١ .

ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾.

ثم أطلعه سبحانه وتعالى على تفصيل ما أجمعوا عليه ، وأذن له بالهجرة ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وأطلعه على ما أجمعت عليه قريش ، وعهد إليه بأمور ، ثم أمره بالمبيت على فراشه ليلة موعد هجومهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم بأسيافهم لإنفاذ القرار ، فأجابه علي عليه السلام ملبياً بصدر رحب ، ورباطة جأش ، مفدياً النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ، باذلاً فيه مهجته ، فبات على الفراش يصوِّر في عيون المهاجمين ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم باق لم يبارح مكانه ، حيث التف ببرده صلى الله عليه وآله وسلم الحضرمي الأخضر الذي كان يلتف صلى الله عليه وآله وسلم به عند المبيت ، ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً فأنزل الله تعالى في تلك الليلة في أمير المؤمنين عليه السلام[1] ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾ تقديراً لمبيت عليّ عليه السلام على الفراش وإعظاماً لشأنه ، ولبيان فضل أكرومة المبيت محل آخر .

نعم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياة أبي طالب في غنية عن هذه المشاق ، ولما أودى كان ما سمعت مجمله ، واضطر للجلاء عن بيت الله الحرام ، ولم يبق له في مكة مقام ، وهي مسقط رأسه ، ومحل أنسه ، وكرسيّ مجد آبائه صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده ، فتأمّل بهذا ونحوه ، أيّها المسلم المنصف ، واشكر لأبي طالب جهوده ، وقدّر مواقفه ومقامه في الإسلام . ولا تكن من الجاحدين لكلمة خرجت من فم السياسة الأموية ، فتلقاها بعض

---

(١) ذكر ذلك الثعالبي والرازي في تفسيريهما عند الكلام على هذه الآية .

بقاسري الرهبة والرغبة ، ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً ﴾.

رأي العالم الإسلامي في إسلام أبـي طالـب

١ ـ الشيعة الإمامية ـ:

جملة الإمامية بقول واحد على إسلامه وإيمانه تبعاً لأئمتهم أهل البيت عليهم السلام الذين أرشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، ودل عليهم ، وأمر بالإستمساك بهم في أمر الدنيا والدين ، فهم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم سفن النجاة ، وباب حطة ، وأمان أهل الأرض ، وأحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما ، إلى غير ذلك مما ترويه عنه صلى الله عليه وآله وسلم صحاح أهل القبلة كافة .

٢ ـ الزيدية .

اكثر الزيدية يقولون بمقالة الإمامية في إسلامه وإيمانه .

٣ ـ المعتزلة :

يقول بعض أكابر المعتزلة بعين المقالة المتقدمة ولا يرى لغيرها نصيباً من الواقع .

٤ ـ العامة :

منهم من يرى إيمانه ، والجمهور منهم ومن المعتزلة وقليل من

الزيدية يرون أنه مات على الكفر والعياذ بالله ، وقريباً نوقفك على رد ما تمسكوا به لمزعمتهم الفاسدة .

سر التشكيك في إسلامه
او
تاريخ تولد النزاع فيه

كم من حقيقة ناصعة بيضاء ذهبت فريسة الأهواء ! وكم من حقائق راهنة وضعت في باحة التشكيك وربما مضى على أحدها اعوام عديدة وأيدي الخلائق جمعاء تشير إليها بالتسليم ، وتتصافق عليها بالسلام والدعة ولم يخطر على قلب بشر أن يضعها في ميزان الشك أو على بساط البحث والنظر ! غير أن أيدي القوى الزمنية القاهرة كثيراً ما حولت الضروريّ نظرياً ، والحلال حراماً ، والحرام حلالاً ، والجمل ناقة ، ولذا نراها تقتل كل حقيقة مشروعة تعترض سيرها بكل نوع من المدمرات كيفما ساعدتها الظروف وعلى قدر الرهبة والرغبة ، وتجد في التشكيك لذة حينما لا يمكنها القضاء على بعض الحقائق قضاء نهائياً ، ذلك عندما نراها تذيع الأنباء لا عن حقيقة فتمثل روايات الافتراء ، على مسارح هذه الحياة حيثما شاءت ، وشاء لها التشكيك بحقيقة راهنة يقرها العقل والمنطق .

من هذه الحقائق ـ التي كانت من الوضوح بمكان في الصدر الأول من الإسلام ـ إيمان أبي طالب .

أجل لم يكن النزاع في هذه المسألة معروفاً قبل منازعة الإمام علي عليه السلام في أمر الخلافة حينما صارت إليه ، والذي اعتقده

ويعتقده كل من نظر في التاريخ والسير والأخبار وأمعن النظر بدقة ، أن نزاع المسلمين في الإثبات والنفي في المسألة إنما هو وليد قيام معاوية وزملائه ضد الخلافة العلوية ، وليد اسعارهم نيران الحرب والفتن عداوة لصالح المؤمنين علي عليه السلام ، وليد جهدهم في الليل والنهار في دحض كل فضيلة ومكرمة عنه ، ولقد أبت نفوسهم إلاّ التشكيك بعنوان مناقب والد الإمام عليه السلام وحبيب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

هنا يلزمنا أن نمر بك على طرف يسير من سيرة معاوية وأعماله التي ترتبط بالمقام، ليكون ذلك هو البرهان الجليّ على صحة نظريتنا في استنتاج تاريخ تولد النزاع في المسألة .

تربع معاوية على العرش وبالرغم من كره الأمة ، واستوسقت له الأمور بعد مقتل علي عليه السلام ، وصالح الحسن عليه السلام على شروط اشترطها عليه لم يف له بها ، فلم يكن في الدنيا بعد ذلك أثقل على معاوية من ذكر مناقب علي عليه السلام وأهل بيته ، في حين أنّ من بقي من الصحابة ذوي السوابق في الإسلام يسبحون بحمد علي (عليه السلام) ويقدسون آثاره ، ويقدرون له جهوده ، ويحدثون بما جاء في القرآن والسنة في مناقبه ، لأياديه البيضاء على الإسلام منذ قام بالدعوة أخوه الصادق الأمين إلى آخر آن من حياته عليه السلام .

وبالطبع إنّ هذا من الصحابة أمر لا بد منه ، فإن علياً عليه السلام هو بطل هذا الدين ، وساعد مؤسسه صلى الله عليه وآله وسلم الأشد ، وخليق بكل صحابي أو تابعيّ أن يطريه ويطري أهل بيته ، لما لهم من البروز والظهور في الإسلام ، ومهما أجاد الصحابيّ في مدحهم عليهم السلام ، يعترف بالتقصير عندما يرتل سور حمدهم عليهم السلام في القرآن ، ويتلو محمود مدحهم في السنة ، وهذه المدائح الباهرة التي كان يسمعها معاوية لم تكن لتثقل على سمعه فحسب ،

بل إنها كانت تبعث إلى نفسه أسوأ الأوهام والظنون ، وتجعله يترقب من ورائها الويل والثبور ، على حين أنه لم يحطم أساس كل مسنون في الإسلام ، إلا ليستولد من الخلافة ملكاً ضخماً يقره في عقبه ، وما دام لأهل البيت نور وظهور وفيهم نظير سبطي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام ، لا يدوم لبني أبيه ملك ، وإن دام ملكه في حياته ، والحق لا محالة بعد مهلكه يرجع إلى نصابه ، لذلك كله أراد معاوية أن يبرم الأمر لبني أبيه ، ويبني لهم سوراً حصيناً حول العرش ، ومن البديهيات الأوليّة بنظر الداهية الأمويّ ، أنه لا يستقيم له ذلك إلاّ بنقض أساس سور أهل البيت عليهم السلام ، وإطفاء نورهم ، وحمله الناس على رقابهم ، وفعله الشنيع في أصحابهم ، وقد تلقى هذه النظرية عنه الأمويون كافة، ولذا قال مروان بن الحكم ـ كما اخرجه الدارقطني ـ ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ ، فقيل لمروان : ما لكم تسبونه على المنابر ؟ فقال : إنّه لا يستقيم لنا الأمر الاّ بذلك .

وقد طبق منهاج نظريته هذه كما يحكيه لنا التاريخ ، فتارة يروي لنا بطش معاوية وتنكيله بشيعة علي عليه السلام ، بل وبكل من ذكره وآله بخير ، او روى لهم عن صاحب السنة صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة .

وطوراً يحدث عن تفريقه بدر الذهب الوهاج ، واقطاع المقاطيع والضياع ، وبناء البنايات الفخمة وتجهيزها بالأثاث والرياش لمتنسكي السوء ، على ان يختلقوا الأحاديث المكذوبة بالغض من كرامة علي عليه السلام وأهليه ، والنيل منهم بأقبح صورة ، ثم يذيعون روايتها في الأقطار .

هكذا تستشهد جملة من الحقائق ، ويشكك في جملة أخرى . وكذا تكون بين فجوتي الترهيب والترغيب مجزرتها العظمى . وبذلك

تسنى لمعاوية أن يجعل من السنة شتم علي عليه السلام نحو ستين سنة.

يقول الحافظ السيوطي إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي عليه السلام بما سنه لهم معاوية من ذلك ، وفي ذلك يقول العلامة أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته :

وقد حكى الشيخ السيوطي إنه ... قد كان فيما جعلوه سنه
سبعون ألف منبر وعشرة ... من فوقهن يلعنون حيدرة
وهذه في جنبها العظائم ... تصغر بل توجه اللوائم
فهل ترى من سنها يعادى ... أم لا وهل يستر أم يهادى ؟
أو عالم يقول عنه نسكت ... أجب فإني للجواب منصت
وليت شعري هل يقال اجتهدا ... كقولهم في بغيه أم ألحدا ؟
أليس ذا يؤذيه أم لا ؟ فاسمعن ... إنّ الذي يؤذيه يؤذي من ومن
بل جاء في حديث أمّ سلمة ... هل فيكم الله يسب مه لمه ؟
عاون أخا العرفان بالجواب ... وعاد من عادى أبا تراب

وهاك جملاً تناسب المقام ، وتظهر لك نفسية معاوية ، وتريك سوء عمله في اتخاذ كل تدبير لطمس منار أهل البيت عليهم السلام ، ﴿ يريدون **أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾.

ففي شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٥ ، روى أبو الحسن علي ابن محمد بن أبي سيف المدنيّ في كتاب الأحداث قال : كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة ، أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته ، فقامت الخطباء في كل كور وعلى كل منبر يلعنون علياً عليه السلام ويبرأون منه ، ويعقون فيه ، وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها

من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية ، وضم إليه البصرة ، فكان يتتبع الشيعة ، وهو بهم عارف ، لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم ، وشردهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم ، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان رضي الله عنه ومحبيه وأهل ولايته الذين يروون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجلسهم ، وقرّبوهم ، وأكرموهم ، واكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ، ويفيضه في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فلبثوا بذلك حيناً ، ثم كتب إلى عماله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا ، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، فلا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعل ، فإنّ هذا أحب إليّ ، وأقرّ لعيني ، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله ، فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة ، لا حقيقة لها . وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى ، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر . وألقى الى معلمي الكتاتيب ، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع ، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن ، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا في ذلك ما شاء الله تعالى ، ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان ! أنظروا إلى من قامت عليه البينة ، أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من

الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه ، وشفع ذلك بنسخة أخرى !! من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به ، واهدموا داره ، فلم يكن البلاء أشد ، ولا أكثر منه في العراق ، ولا سيّما بالكوفة ، حتى أنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به ، فيدخل بيته ، فيلقي إليه سره ، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه ، فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر . ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان أعظم الناس بلية في ذلك القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك ، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ، ويقربوا مجالسهم ، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل ، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث الى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان ، فقبلوها ورووها ، وهم يظنّون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ، ولا تدينوا بها ، فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة ، ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام ، وولي عبد الملك بن مروان ، فاشتد على الشيعة ، وولّى عليهم الحجاج بن يوسف ، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي عليه السلام ، وموالاة أعدائه فأكثروا في الرواية في فضلهم ومناقبهم ، وأكثروا من الغض من عليّ عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له ، حتى أنَّ إنساناً وقف للحجاج ، يقال إنه جد الأصمعيّ عبد الملك بن قريب ، فصاح به : أيها الأمير ، إنّ أهلي عقوني فسموني علياً ، وإنّي فقير بائس ، وأنا إلى صلة الأمير محتاج ، فتضاحك له الحجاج ، وقال : للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا .

وعن الكامل للمبرد : استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة ، ودعاه فقال له : أما بعد : فإنّ لدى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ولا يجزى عنك الحليم بغير التعلم ، وقد أردت إيصاءك بأشياء

كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة واحدة ! لا تترك شتم عليّ وذمه والعيب لأصحابه والاقصاء لهم ، فقال له المغيرة: قد جَرّبت وجُرّبت وعملت قبلك لغيرك ، فلم يذمني ، وستبلوني فستحمد او تذم ، قال : بل تحمد إن شاء الله ، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة ، وهو أحسن شيء سيرة ، غير أنه لا يدع شتم علي عليه السلام والوقوع فيه .

وفي شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٣٦١ أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة الف درهم ، حتى يروي هذه الآية أنزلت في علي عليه السلام وهي قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألدّ الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد** ﴾ وأن الآية الثانية أنزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله** ﴾ فلم يقبل ، فبذل له مائتي الف درهم ، فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة ألف ، فقبل وروى ذلك .

إنّ مكذوب الحديث أروج سلعة بيعت في أسواق السياسة الأموية ، وهذا من مهمات جناياتهم على الدين الإسلامي ، يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ١٦ ، قال ابن عروة ـ المعروف بنفطويه ، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم ـ إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم ، ويقول فجر الإسلام ج ١ ص ٢٥٥ : وتلمح أحاديث كثيرة لا تشك وانت تقرؤها أنها وضعت لتأييد الأمويين ، كالخبر الذي روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في معاوية ، اللهم قهِ العذاب والحساب ، وعلمه الكتاب . وكالذي روى أنّ عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم ، إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء .

ومن الضروريّ الذي لا يخالجه ريب ، أنّ من لا يتحرز عن مثل هذه المناكير ، فهو خليق بأن لا يتحرز عن وضع الأخبار الكثيرة في تكفير أبي طالب عليه السلام إيذاء لعليّ عليه السلام وآل أبي طالب وشيعتهم ، ليكون للمتغلب الأمويّ بذلك قرة عين ، ومن هان عليه بذل أربعمائة الف لسمرة ليروي للنّاس أنّ الآية الأولى المتقدمة الذكر أنزلت في عليّ عليه السلام ، يهون عليه البذل في سبيل تكفيره والده عليه السلام . على أن الأغراض السياسية التي قادتهم إلى الطعن في آل أبي طالب هي نفسها التي حدتهم على الطعن في أبي طالب ، وبالطبع إنّ مثل هذه التعابير تنطلي على كثير من البسطاء في ذلك العصر ، فيرونها حقاً ، وبذلك ترجح كفة ابن أبي سفيان بنظرهم ، وتخف كفة عليّ عليه السلام حينما يرون الطعن فيه وفي أبيه وفي شيعته وذويه .

نعم ويؤدّي ذلك في العصور المتأخرة إلى الإعتقاد بصحتها من جملة من العرفاء ، وبالأخص عندما يجدونها كروايات مسندة إلى من يمت بأبي طالب بنسب ، أو تجمعه وإياه آصرة رحم ، وما هي في الحقيقة إلا افتراءات مفتعلة من رجال السوء .

وبمثل هذا اغتر كثير من العرفاء ، ومنهم الفاضل المعتزلي ، لما نقلت له أسطورة النفس إلى المنصور ، فاتخذها بيده مستمسكاً قوياً ، وطفق يعربد في تقريب صحتها وقبولها معاً بدون ما روية وتثبت ، وستسمع ما هو التحقيق فيها إن شاء الله تعالى .

فبمجموع ما قدمناه ، يمكنك أن تكتنه السر في الإختلاف في المسألة ، وتستطيع أن تستنتج تاريخ تولد النزاع .

نظرة فيما تمسك به المكفرة

نحن لو رجعنا إلى ما تمسك بـه المكفرة ، لـوجدنـاه في غايـة من الوهن ولذا نرى أهل التحقيق لم يحفلوا بـه ، بيد أنّ جمـاعة من النـاس اعتمـدوا على أخبار ملفقـة ، وأقـوال بـدون حجـة ، وأغفلوا البحث عن صحتها وسقمها ، وعما يعارضها من الصحاح .

منهـا ـ ما يـروونه عن سعيـد بن المسيب عن ابيه أنـه قال : لمـا حضرت أبا طـالب الوفـاة ، قال لـه رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم في كـلام : لأستغفرن لـك ، فأنـزل الله تعالى ﴿ **مـا كـان للنبي والـذين آمنـوا أن يستغفروا للمشـركين ، ولو كـانوا أولي قـربى من بعد مـا تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم** ﴾ .

إنّ روايـة نـزول هـذه الآيـة في أبي طـالب مخـدوشـة السنـد ، لا يصح أن يكون ذلك شأن نـزولها ، معـارضة بمـا هو أقـوى منها سنـداً ، وأقرب اعتباراً ، وكل واحدة من هذه الجهات الثـلاث تسقطهـا عن درجة الإعتبار عند أهل الفن .

١ ـ سندها ـ :

سمعت أنهم يـروونهـا عن سعيـد بن المسيب ، وسعيـد هـذا لا

يوثق بروايته ، مع اشتهاره بالإنحراف عن أمير المؤمنين علي عليه السلام .

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٣٧٠ : وكان سعيد بن المسيب منحرفاً عن علي عليه السلام ، ويرشدنا إلى ذلك ما حكاه عنه أيضاً في الصحيفة نفسها، قال : روى عبد الرحمن بن الأسود عن أبي داود الهمداني قال : شهدت سعيد بن المسيب وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له سعيد ، يا ابن أخي ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يفعل إخوتك وبنو أعمامك ، فقال عمر : يا ابن المسيب ، أكلما دخلت المسجد أجيء فأشهدك ، فقال سعيد : ما أحب أن تغضب ، سمعت أباك يقول : إن لي من الله مقاماً لهو خير لبني عبد المطلب مما على الأرض من شيء ، فقال عمر : وأنا سمعت أبي يقول : ما من كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا إلا يتكلم بها ، فقال سعيد : يا ابن أخي ، جعلتني منافقاً ، قال : هو ما أقول لك ، ثم انصرف .

هذه الشدة والمصارحة من عمر بن علي عليه السلام مع ابن المسيب لم تكن إلا عن انحرافه الشديد عن والده عليه السلام ، وإلا فليس في كلام ابن المسيب مع عمر ما يوجب هذا القدر من قوارص الكلم ، وقد تجلى لنا أثر انحراف سعيد بما يرويه لنا جمع من أهل السير ، منهم الواقدي ، من أن سعيد بن المسيب مر بجنازة السجاد علي بن الحسين عليه السلام ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولم يصل عليها ، فقيل له : ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين ؟ فقال : صلاة ركعتين أحب إليّ من الصلاة على الرجل الصالح .

وهذا القدر كاف في جرح ابن المسيب وإسقاط ما يرويه .

٢ ـ شأن نزولها :

نرى أنّ كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب كان قبل وفاته ، كما هو نص رواية سعيد ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهذه الآية هي الرابعة عشرة بعد المائة من سورة التوبة ، وسورة التوبة أنزلت في غضون السنة التاسعة بعد الهجرة ، وإذاً بين قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه « **لأستغفرن لك** » وبين نزول الآية اثنتا عشرة سنة ، وعليه فمن الغريب المستهجن جداً نزول هذه الآية في أبي طالب والحالة هذه .

٣ ـ معارضتها بما هو أصح منها سنداً وأقرب اعتباراً .

يقول في أسنى المطالب ص ١٨ : رأينا أنّ علياً رضي الله عنه روي عنه بطرق صحيحة،رواها الإمام احمد والترمذي والطيالسي وابن أبي شيبة والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي ، أنّ السبب في نزول الآية استغفار ناس لآبائهم المشركين ، قال علي رضي الله عنه : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت : أتستغفر لأبويك وهما مشركان ، فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنزلت ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا** ﴾ الآية . فهذه الرواية صحيحة ، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، قال : كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية ، فلما نزلت أمسكوا عن الإستغفار لأمواتهم ، ولم ينهوا ان يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل الله تعالى ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم** ﴾ الآية ، يعني استغفر له ما دام حياً ، فلما مات أمسك عن الإستغفار له ، قال : وهذا شاهد صحيح ، فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح ، فالأرجح أنها نزلت في استغفار أناس لآبائهم المشركين ، لا في أبي طالب ، انتهى .

إذاً فتمسك المكفرة برواية ابن المسيب مع الخدش في سندها وعدم مطابقتها لشأن نزول الآية ووجود ما هو أصح منها ، بمكان من الوهن ، وتنكب عن جادة الإنصاف ، وخلاف لما عليه أغلبية أهل التحقيق ، كالزمخشري في كشافه عند الكلام على هذه الآية ، حيث لم يصحح نزولها في أبي طالب ، وكالعلامة السيد محمد بن رسول الملقب بالبرزنجي ، حيث تتبع ما روي في نزول الآية ، وبعد التحقيق قال ـ كما في اسنى المطالب ص ١٧ ـ والصحيح أنها نزلت في آباء الناس الذين ماتوا في الكفر ، وكان أولادهم يستغفرون لهم .

ومنها : قولهم إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمزيد حبه لعمه أبي طالب طلب منه أن يؤمن فأبى ، فأنزل الله تعالى ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ . ويستدلون على ذلك بما يحكيه الزجّاج من إجماع المسلمين على نزولها في أبي طالب عليه السلام .

يجدر بكل منصف أن يقضي عجباً من دعواهم الإجماع المومى إليه ، فإنّ الشيعة الإمامية وهم من أكبر طوائف الإسلام لا يرون نزولها في أبي طالب تبعاً لأئمتهم الذين هم أعلم الناس بأسباب النزول ، وهم خزّان علم الرسول ، وبهم عرف الصواب ، وفي أبياتهم نزل الكتاب .

اللهم إلا أن يخرجوا الشيعة وأئمتهم عليهم السلام من فرق الإسلام ، كما أخرجوا أبا طالب ، وليس ذلك عليهم بالبعيد ، تلك سمة إجماعهم ، وهذه حالته ، وأما الأخبار التي حكت نزول الآية في أبي طالب عليه السلام فهي معارضة بما يسقطها عن الحجية ، ذلك بما يذكره أبو المجد بن رشادة الواعظ الواسطي في كتابه أسباب النزول عن الحسن بن الفضل ، من أنها نزلت في الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف ، وكان النبي يحبه ، ويحب إسلامه ، ويقرب

ما يروى عن الحسن بن الفضل إجماع المسلمين بدون استثناء على نزول الآية التي بعد هذه الآية في الحارث نفسه ، لكن انحراف القوم عن أبي طالب صرف الآية الأولى إليه ، وقد روي لنزول الآية أسباب أخر لا نطيل الكلام بتعدادها ، وبالجملة ، فإن جهل القوم بأسباب النزول بإعراضهم عن آل الرسول ، هو الذي دعاهم إلى دعوى نزول الآية في أبي طالب .

اللهم احكم بيننا وبين الذين ظلموا عم رسولك الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالحق وأنت خير الحاكمين .

ومنها : قولهم إنّ قوله تعالى : ﴿ **إنا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم** ﴾ أنزل في أبي طالب .

وهو كما ترى فإن من لاحظ سوابق الآيات ولواحقها يرى أن الآية وما قبلهاوما بعدها منزل في اليهود ، والقول بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها ، وهذا هو الذي ذهب إليه أبو حيان ، وأشار إليه أبو السعود في تفسيره ، على أنّ زعمهم الفاسد هو خلاف ما اتفقت عليه كلمة المفسرين كافة ، فراجع تفسير الرازي والزمخشري والبيضاوي وأبي السعود والدر المنثور في التفسير بالمأثور وغيرها ، تتحقق أن ليس لنزولها في أبي طالب عين ولا أثر ، ولا جرم إن كانت دعواهم مجردة عن البرهان فإنّ تنكب الحق يفسد الرأي ويذهب بالرويّة .

ومنها : ما يروونه من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضر أبا طالب عند الموت ، وكان عنده ابو جهل وعبد الله بن أمية المخزوميّ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أي عم ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب ، وما زالا يرددان القول حتى قال أبو

طالب آخر ما كلمهم فيه ، إنه على ملة عبد المطلب ولم يقل كلمة الشهادة .

ليت شعري ، كيف يصح لمحاجج أن تسكن نفسه لمثل هذه الرواية ، وهي على ما هي عليه من الوهن ؟ أم كيف يسوغ له أن يتخذها حجة بيده يصول بها على خصومه في تأييد مزعمته في حين أنه يرى في سلسلة رجال السند مثل اسحاق بن ابراهيم بن راهويه ، ونظير معمر بن راشد وكلاهما قد خفت كفتهما في الرواية في ميزان الذهبي ؟ ولذا يقول : قال أبو عبيد الآجري : سمعت أبا داود يقول : إسحاق بن راهوية تغيّر قبل موته بخمسة أشهر ، وسمعت منه في تلك الأيام ، فرميت به ، وذكر شيخنا أبو الحجاج حديثاً عنه فقال : قيل اسحاق اختلط .

ويقول الميزان في معمر : معمر بن راشد له أوهام معروفة احتملت له ، وقال أبو حاتم ما حدّث به ، معمر بالبصرة ففيه أغاليط . وبقطع النظر عن الجرح في رواة الرواية كما سمعت ، فإن الرواية . معارضة بما روي بأسانيد عديدة عن العباس تارة وعن أبي بكر (رضي الله عنه) أخرى ، من أنّ أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ومع مماشاة الخصم وتسليم صحة الرواية فالرواية لا تكون له ، بل هي عليه، ولذا نراها لا تدل على أكثر من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما سأل من عمه كلمة التوحيد عند الموت ليشهد له بأنها هي آخر عهده بالكلام ، كما هو المعروف من السنة النبوية إلى اليوم من الإشهاد على التوحيد لدى الوصية كتباً ، وطلب أهل الميت منه حال النزاع الإعتراف بالوحدانية قولاً ، فطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عمه كلمة التوحيد لذلك ، لا لأنه كان يطلب منه أن يدخل في الإسلام في ذلك الحين ، بل هو مسلم من أول يومه ، بيد

أنه لما كان السؤال بمحضر من عتاة قريش وطواغيتها نظير أبي جهل ، وكانوا يعتقدون أنّ أبا طالب على دينهم ، أجمل ابو طالب الجواب ، بما يوهم جبابرة قريش أنه منهم جرياً على سياسته في الإحتفاظ بمصلحة حضرة الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم[1] وبذلك الإجمال خفض من غلواء قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ما أراد بالكناية في آن واحد ، فإن في قوله صلى الله عليه وآله وسلم إنه على دين عبد المطلب ، مقنعاً لعتاة قريش حيث يرون أنّ عبد المطلب منهم ، وفي الوقت نفسه جواباً كنائياً عن سؤال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه أراد من قوله إني على ملة عبد المطلب ، إني مقر بالوحدانية كما هو معلوم لدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حال من كان على ملة عبد المطلب ، وقد أسلفنا تحت عنوان (مولده ونشأته) ما يدل على إيمان عبد المطلب من كلمات المؤرخين وأهل السير ، على أنه ثبت بالدليل القطعي إيمان عبد المطلب وآباء النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) يشهد لنا في اتخاذ أبي طالب عليه السلام هذه السياسة ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : ان أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر ، فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان ، وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين ، وإلى هذه السياسة يشير العلامة السيد علي خان في البيت الخامس من مقطوعته هذه .

أبو طالب عم النبي محمد ... به قام أزر الدين واشتد كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر أنه ... مؤازره دون الأنام وكافله
لقد جهلت قوم عظيم مقامه ... فما ضر ضوء الصبح من هو جاهله
ولولاه ما قامت لأحمد دعوة ... ولا انجاب ليل الغيّ وانزاح باطله
أقر بدين الله سراً لحكمة ... فقال عدو الحق ما هو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة ... إذا عصفت من ذي العناد أباطله
وكيف يحل الذم ساحة ماجد ... أواخره محمودة وأوائله
عليه سلام الله ما ذر شارق ... وما تليت أحسابه وفضائله

ترى هذه الأبيات في ديوانه وفي الدرجات الرفيعة ايضاً .

وسلم أجمع ، سلام الله عليهم ، وإيمانهم مما قام عليه إجماع الإمامية ، وقد ذهب إلى ذلك جمع من أعلام غيرهم ، وألفوا في ذلك رسائل ، فراجع تأليفات السيوطي في هذا الباب إن أبا طالب عليه السلام لم يكتف بالكناية في جواب سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما أجابه بها في حال الإضطرار والتقية من فراعنة قريش ، وبعده لم يزل يترقب الفرص لإجابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريحاً في الاشهاد على كلمة التوحيد في أخريات كلامه في دار الدنيا ، وقد جعل طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصب عينه ، وهو يجود بنفسه ، حتى إذا قام المشركون الألداء من المجلس ـ وكان في ذلك الوقت قد خفي صوته ودنت ساعته ـ تشهّد صريحاً وجعل الإعتراف بالوحدانية والرسالة آخر كلامه ، ويرشدنا إلى ذلك ما روي عن العباس من أنه لما تقارب من أبي طالب الموت ، نظر إليه العباس فرآه يحرك شفته فأصغى إليه بأذنه ، فسمع منه الشهادة ، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ابن أخي : والله لقد قال الكلمة التي أمرته بها .

وقد أقر العباس شهادته تلك بعد إسلامه ، حيث قال ما مات أبو طالب حتى قال لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وعليه فليس للخصم أن يجرح شهادة العباس ، وهي قوله : « يا ابن أخي والله لقد قال الكلمة التي أمرته بها » بأن هذه الشهادة كانت منه حال كفره كما لا يخفى .

ومنها ـ حديث الضحضاح وقد اشتهرت روايته عندهم . قالوا إنه قال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما أغنيت عن عمك أبي طالب ، فوالله كان يحوطك ويغضب لك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم هو في ضحضاح[1] من نار ، ولولا أنا لكان

(١) الضحضاح مارقّ من الماء على وجه الأرض الى نحو الكعبين ، فاستعير للنار .

في الدرك الأسفل من النار .

وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكر عنده عمه يقول : لعله تناله شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه ، وهذا الحديث نفسه ذكر بسند آخر بزيادة كلمة واحدة حيث قالوا تغلي منه (أمّ) دماغه .

نرشد المطلع إلى ملاحظة سند الحديث الأول وسندي الحديث الثاني ، وآنئذ يرى في سلسلة سند الحديث الأولى سفيان الثوري ، يرويه عن عبد الملك بن عمير أما سفيان فمدلس يكتب عن الكذابين ، وأما عبد الملك فيضعفه ويغلطه نظير الإمام احمد وكفى .

يقول الذهبي في الميزان ـ سفيان الثوري كان يدلس عن الضعفاء وقيل في شأنه أنه يدلس ويكتب عن الكذابين .

ويقول في عبد الملك في الميزان أيضاً ـ عبد الملك بن عمير القاضي في الكوفة قد ضعفه الإمام أحمد ، وقال إنه يغلط ، وقال ابن معين إنه مخلط ، وقال ابن خرايش: كان شعبة لا يرضاه .وذكر الكوسج عن أحمد إنه ضعفه جداً ، وذكره ابن الجوزي فذكر جرحه وما ذكر له تعديلاً .

ويرى أيضاً في السلسلة الأولى من سند الحديث الثاني عبد الله ابن يوسف التنيسي يرويه عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، والثلاثة المومى إليهم لا وزن لروايتهم .

يقول الذهبي في ميزانه ـ عبد الله بن يوسف التنيسي قد ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء.

ويقول في الليث ـ قال ابن معين كان الليث يتساهل في الشيوخ والسماع وذكره النبأ ، في تذييله على الكامل وهو كتاب في الضعفاء.

ويقول في ابن الهاد ـ يزيد بن عبد الله بن الهاد أورد في باب من ذكر في جرح من رجال الموطأ .

وأما السلسلة الثانية ففيها عبد العزيز بن محمد الدراوردي يرويه عن ابن الهاد .

أما ابن الهاد فهو الذي تعرفت به آنفاً ، وأما عبد العزيز فليس لأئمة القوم وثوق في قوله .

يقول في الميزان : إنّ عبد العزيز بن محمد الدراوردي قد قال فيه الإمام أحمد إنه إذا حدث من حفظه يبهم ليس هو بشيء وإذا حدث جاء ببواطيل ، وقال فيه ابو حاتم لا يحتج بقوله .

ولو فرض أن ادعى الخصم توثيق أولئك الرواة ، فالخصم محجوج بما قرر في أصول الفقه من أنّ الترجيح في جانب الجارح كما لا يخفى ، وعليه فلا مسوغ للتمسك بمثل هذه الأخبار التي اطلعت على حقيقة رواتها ومقدار مكانتهم عند أئمة القوم .

ولا من شك أنّ إمارات افتعال هذا الحديث تتراءى لك في أسلوبه من جهة ،وفيما صح سنداً عن أهل بيت العصمة في تكذيبه من جهة أخرى.

يقول الصادق جعفر عليه السلام : يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب ؟ ـ أراد بالناس أعداءهم ـ قال يونس : جعلت فداك يقولون إنه في ضحضاح من نار تغلي منه أمّ رأسه ، فقال عليه السلام كذب أعداء الله ، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ويقول الباقر محمد عليه السلام عندما سئل عما يقول الناس في أبي طالب وإنه في ضحضاح من نار : لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه ، ثم

قال : ألم يعلموا أنّ أمير المؤمنين كان يأمر أن يحج عن عبد الله وأبي طالب في حياته وأوصى في وصيته بالحج عنهما ؟ وهذا الخبر نفسه يروى بسند صحيح عن الصادق عليه السلام أيضاً .

ويقول زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام وقد سئل عن حديث الضحضاح : واعجباه إنّ الله تعالى نهى رسول الله أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات .

وحاشا أهل بيت العصمة أن يجرهم التعصب لوالدهم فيقولون فيه ما ليس له ، فإنهم عدل القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنص السنة المقدسة ﴿ **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب ا لله وعترتي أهل بيتي** ﴾ فهم كالقرآن منزهون عن الزلل والخطل ، وهم المطهرون عن الأرجاس في محكم التبيان .

ومنهاـ ما يروونه عن سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق عن ناجية ابن كعب .

يقول ناجية : قال علي عليه السلام : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت إنّ عمك الشيخ الضال قد مات ، يعني أباه فقال صلى الله عليه وآله وسلم اذهب فواره ، الحديث .

قبل كل شيء يلزمنا أن ننظر في رجال السند الثلاثة ليكون المطلع على بصيرة من أمرهم ثم نوكل الحكم في قبول هذه الرواية وعدمه إليه .

أما ابن عيينة سفيان ، فهو مدلس كما في الميزان ، وأما عمرو ابن عبد الله أبو إسحاق السبيعي فهو من محدثي السوء ، وشيوخ الرّشا الذين يتقاضون ، من معاوية الراتب الشهريّ على اختلاق الأحاديث تأييداً لسلطانه وإرغاماً لأنوف آل أبي طالب .

يقول الذهبي في الميزان : يتقاضى أبو إسحاق السبيعي من معاوية في الشهر ثلاث مائة ،ويقول: روى ابن جرير عن مغيرة أنه ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحق ، هذا هو الذي يلزم الخصم بطرح رواية أبي إسحق ، ونحن نستلفت القراء علاوة على ما تقدم إلى خصوص ما يرويه سفيان بن عيينة عن أبي إسحق ليكونوا على بصيرةمن أمر هذه الرواية ، ذلك بما يحكيه في الميزان عن الفسوي . يقول الذهبي « قال ابن عيينة ، يعني سفيان : حدثنا أبو إسحاق في المسجد وليس معنا ثالث ، فقال الفسوي بقول بعض أهل العلم كان قد اختلط أبو إسحاق ، وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه » .

وبتعبير أوضح إنّ القوم لم يأخذوا بما يروى عن أبي إسحاق ، من طريق ابن عيينة لأخذه عنه حال اختلاطه ليس إلا ، ويشهد لذلك أن مولد ابن عيينة سنة ١٠٨ ، ووفاة أبي إسحاق كانت في سنة ١٢٩ ، وقيل كانت قبل ذلك ، وبهذا التقريب تستنتج أن ابن عيينة لم يدرك أبا إسحاق إلّا في أيام اختلاطه .

وإليك حلية ناجية بن كعب ، يقول الذهبي في الميزان : توقف ابن حبان في توثيقه ، وقال الجوزجاني في الضعفاء هو مذموم ، وقال ابن المديني لا أعلم أنّ أحداً حدث عن ناجية بن كعب سوى أبي إسحاق ، وأبو اسحاق هو ذلك المستأجر الذي تعرفت به آنفاً .

هذه حال رجال السند ، وزد على ذلك أن الرواية معارضة بما أخرجه ابن عساكر عن علّي عليه السلام ، قال عليه السلام : أخبرت النبي بموت أبي طالب فبكى ، وقال : إذهب فغَسله وكفنه وواره ، غفر الله له ورحمه .

ومنها ما يقال من أنّ علياً عليه السلام وجعفراً لم يأخذا من تركة أبي طالب .

يقولون : وذلك آية ما ندّعيه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا توارث بين أهل ملتين ، وفي ذلك ما لا يخفى ، فإنه لو سلم لهم المدّعى ـ والعياذ بالله ـ فهو لا يستدعي أن لا يأخذ عليّ عليه السلام وجعفر من تركة أبي طالب ، فإن من ضروريات مذهب أهل البيت عليهم‌السلام أن المسلم يرث الكافر ، ولا يرث الكافر المسلم ، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا توارث بين أهل ملتين » ليس إلا ، لأن التوارث تفاعل ، والتفاعل لا يحصل إلّا من طرفين ، فإذا ورث طرف دون الآخر لم يتحقق التوارث ، وعليه فعدم أخذهما عليهما السلام من تركة أبيهما لا دلالة فيه على ما يدعون .

ومنها ـ ما ينقل من أنّ أبا طالب لم ينقل عنه أنه صلى ، والصلاة هي التي تميز المؤمن عن غيره .

يقول ابن أبي الحديد في الجواب عن هذه الشبهة : يجوز أن يكون ، لأنّ الصلاة لم تكن بعد قد فرضت ، وإنما كانت نفلاً غير واجب ، فمن شاء صلى ، ومن شاء ترك ، ولم تفرض الصلاة إلّا بالمدينة ، انتهى .

على أن عدم النقل لا يدل على عدم حصول الصلاة ، سيما لمثل أبي طالب الذي كان يتستر بمثل الصلاة ونحوها من الشعائر الإسلامية بلحاظ سياسته مع القوم ، واحتفاظاً بمركزه في نفوس الكفرة لمصلحة الإسلام .

ومهما يكن من شيء فما كان في الحسبان أنّ مثل ابن أبي الحديد يحيد عن جادة الإعتدال ، فيتوقف في إيمان أبي طالب بعد أن سرد في الفصل نفسه ما يوضح له المحجة من شعره الصريح في إيمانه ، ومما ورد فيه من الأخبار الشاهدة له بذلك .

يقول الفاضل المعتزلي[1]: وتقف في صدري رسالة النفس الزكية[2] الى المنصور وقوله فيها أنا ابن خير الأخيار وأنا ابن شر الأشرار وأنا ابن سيد أهل الجنة وأنا ابن سيد أهل النار ، فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر ، وهو ابنه وغير متهم عليه وعهده قريب من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً ، وجملة الأمر أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة ، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة ، فتعارض الجرح والتعديل ، فكان كتعارض البّينتين عند الحاكم ، وذلك يقتضي التوقف ، فأنا في أمره من المتوقفين ، انتهى .

أنت ترى أن توقفه هذا إنما هو لوقوف هذه الرسالة في صدره ، ـ كما لا يخفى على من عرف لحن القول وفصل الخطاب ـ عندما نجده يطنب في تغريب اعتبار الرسالة ـ ، فإنّ هذه شهادة منه على أبيه ، وهو ابنه وغير متهم عليه الخ الخ ـ لكن الفاضل المعتزلي لأمر ما تترس بتعارض الأخبار للتوقف ، فارتجل ذلك التخلص حيث قال : وجملة الأمر أنّه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة وفي موته على دين قومه أخبار كثيرة ، إلى أن قال : فأنا في ذلك من المتوقفين .

أما الأخبار فلا تعارض بينها لبداهة أن التعارض فرع التكافؤ ، وأخبار الباب غير متكافئة ، فإن ما يرويه الخصم أمر تفرد به على ما فيه من علات وهنات وضعف ، وبعد ، لوجوه أسلفناها لك فيما تقدم ، وأخبار كهذه لا تصلح لمعارضة أخبار يرويها الفريقان في إيمانه عليه السلام ، وفوق هذا هي معتضدة بإجماع أهل البيت عليهم السلام على وفقها .

وأما الأسطورة المنسوبة الى النفس الزكية ، فليت ابن أبي الحديد تنبه

---

(١) شرح النهج ج ٣ ص ٣١٧ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام .

إلى البحث عن راويها ، وهل هو سوى عثمان بن سعيد بن سعد المدني ؟ كلا ، ثم كلا ، وهذا سعيد من مجاهيل الرواة ، وعليه فلا ندحة عن سقوط هذه الرسالة من صدر أمثال ابن أبي الحديد إلى حيث مستقرها . . . وليس له أو لغيره إلا أن يحشرها محشر الأساطير .

إنّ صاحب الوجدان يكاد أن يقتنع جداً بوضع الرسالة كلاً أو بعضاً لأول نظرة فيها بروية ، حيث يجد هذه الفقرة (وأنا ابن شر الأشرار) لا تكاد تصدر عن مثل محمد صاحب النفس في حق مثل أبي طالب ، وان سألت عن السبب في ذلك ، قلنا لك إنّ محمداً ذا النفس كان يدعي الخلافة ، وينازع من سواه في أمرها ، وكان الناس في عصره لا يشكون في أنه هو المهدي ، ومن كانت له هذه الشخصية ، وكانت الثقة فيه عامة ، يستبعد منه جداً أن يسجل على نفسه بقلمه عند عدوه الألدّ هذا الكذب الصريح . (وانا ابن شر الأشرار) ، لأن معنى ذلك هو أن أبا طالب لا أشر منه في عصره أو في قومه ، وذلك قول تأباه الحقيقة ، حتى لو فرض محالاً أن أبا طالب مات على دين قومه ، حيث لا نجد أحداً من سائر الملل والنحل يقول إنّه كان أسوأ حالاً من أبي لهب ، أو اشر من أبي جهل وأضرابهما ، في الوقت الذي يرى أن شر أبي جهل قد طبق الأرض في الطول والعرض ، وخير أبي طالب وسوقه كل جميل وبذله كل عناية ، ولحاظه كل رعاية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وللإسلام عامة ، لا يجهله ابن أنثى ، وعليه ، كيف يجوز للعاقل أن يظن صدور مثل هذا من ذي النفس وهو في ذلك المقام المملوء حماساً وافتخاراً ؟ ، وليت شعري أيّ فخر يبقى لصاحب النفس وهو ابن شر الأشرار ؟ وهل يفخر بمثل هذا سوى أحمق مدخول العقل ؟ .

أيها الفاضل ، فلنضرب صفحاً عن ذلك كله ، ولنسلم لك صدور الرسالة عن النفس ، بيد أنه لنا أن نسأل : بأيّ الدلالات فهمت

أنّ المعني بشر الأشرار أبو طالب ؟ وهل كان في الفقرة تصريح أو ظهور أوجب انصرافها إليه ؟ اللهم لا ، إلاّ من طريق التخرص ، وإذا أرجعنا تعيين مداليل الألفاظ إلى التخرص ، فلماذا لم يكن المعني بشر الاشرار هو طلحة بن عبيد الله فإن طلحة هذا والد أمّ إسحاق ، وهي جدة صاحب النفس ؟؟؟ ولماذا لم يكن المعني بالفقرة عبد العزى جده لأمه ، فان أمّ صاحب النفس هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وهذا عبد العزى من مشيخة كفرة قريش في زمانه ؟؟؟ وبالوجدان أن الإنتساب إلى آباء الأب والأم كليهما أبلغ في مقام الإفتخار من الإنتساب الى آباء أحدهما ، وهل الخرص بإرادة أبي طالب من تلك الجملة إلا كالخرص بإرادة طلحة وعبد العزى منها ؟ إذاً ، فأيّ قرينة عينته دونهما ؟ أجيبونا يا منصفون ! .

وهنا نناقش ابن أبي الحديد الحساب على ما بقي من شطط كلامه وغلطه الواضح في مرامه ، أتقف في صدره شهادة النفس الوهمية معللاً ذلك بأن الشهادة هذه من ابنه ، ولا تقف في صدره شهادة ابنه الصلبيّ وهو أفضل من صاحب النفس وأجل وأعلى منزلة منه ومحلاً في نفوس الأمة بجملتها وقولاً واحداً ؟ .

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا ، ويقول عليه السلام : والذي بعث محمداً بالحق نبياً إنّ أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله .

وبديهي أنّ باب مدينة العلم عليه السلام أعرف بوالده ، فإنه رآه وعاشره زمناً طويلاً ، فوقف على حقيقة أمره ، ومحمد صاحب النفس لم يره هو ولا أبوه ولا جده بل ولا أبو جده .

تقف في صدره الأسطورة ولا تقف في صدره شهادة الأئمة

زين العابدين والصادقين الباقرين محمد وجعفر عليهم السلام، وقد تقدمت شهاداتهم عليهم السلام آنفاً في درء شبه حديث الضحضاح، فراجع.

وأنت يا رعاك الله تعالى، إذا وقفت على قوله في تقريب صحة الأسطورة (وعهده قريب من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً) ترى العجب، فإن من البين جلياً أنه لو كان المناط في وضع الأحاديث هو طول العهد عن عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما وضعت ملايين الأخبار في زمن ابن أبي سفيان كما اعترف به ابن أبي الحديد نفسه، فراجع ما نقلناه عنه آنفاً تحت العنوان الرابع عشر، ولكان افتعال الأخبار في زمن العباسيين بناء على قاعدته التي ضربها أولى وأجلى.

إنّ بعض متأدبي هذا العصر ينظم ابن أبي الحديد في سلك الإمامية، وأنت ترى في إعراضه عما ورد عن أئمتهم صحيحاً في إيمان أبي طالب وفي اختياره التوقف في أمره أكبر شاهد على فساد رأي ذلك المتأدب، وخير دليل على مواربة ابن أبي الحديد لأبي طالب، وآل أبي طالب وشيعتهم.

وعلى أيِّ حال، فإننا لو أردنا مماشاة ابن أبي الحديد في الموافقة على ما يرتئيه من التعارض بين طائفتي الأخبار، فإننا لا يسعنا أن نقف معه حيث وقف في إيمان أبي طالب، لأن اكتشاف الحقيقة وتعرف الواقع غير منحصر في السنة، وإلا لطال وقوفنا في كثير من الأحكام لدى التعارض.

هذا كتاب الله وهو الحجة القاطعة لكل خصام لدى كل مسلم يهتف بنا قائلاً: ﴿ **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً** ﴾. ومن المعلوم أن المراد بالسلم في الآية هو السلام، وكلاهما بمعنى الإستسلام، كما نص على ذلك الزمخشري في كشافه، فهو نظير قوله

تعالى ﴿ وألقوا إلى الله يومئذ السلم ﴾، أي أنهم استسلموا للأمر وانقادوا إليه .

وإذا رجعت إلى شعر أبي طالب محللاً منه نفسيته ، ومستكشفاً منه ميله وهواه، لوجدته أصدق شاهد على استسلام شيخ الأبطح وانقياده إلى هذا الدين ، بل لوجدت روح الإيمان الصادق تتجلى لك من خلال أبياته ، وتلوح لعينيك ظاهرة بين فجواته ومنعرجاته ، هذا شيخ الأبطح ينشد بملء فيه منادياً :

يا شاهد الله عليّ فاشهد إنِّي على دين النبيّ أحمد
من ضل في الدين فإني مهتدي

حقاً ، إن لم يكن هذا صريحاً في الإيمان فلا أقل إنه صريح في القاء السلم كما لا يخفى .

وإلا فما الذي حدا أمنع الناس داراً ، وأعزهم جواراً أن يهتف بهذا النداء ، ويشهد شاهد الله على ما يقول سوى الإنقياد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

بهذا ونحوه يلزمك الكتاب المجيد بالإعتراف في إيمان أبي طالب ولا يدع لك مجالاً للتوقف فيه ، وهذا كله على التنازل مع ابن أبي الحديد ، وإلا فهاك صفحة من نفسية أبي طالب تقرأ فيها توحيده للخالق ، وإيمانه بالمبدأ والمعاد ، وإقراره بالعبودية له تعالى .

يقول أبو طالب :

مليك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدي المعيد
ومن تحت السماء له بحق ومن فوق السماء له عبيد

وهاك الصفحة الأخرى في بيتين له آخرين تتلو فيها إقراره برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من لدن جبار السماوات والأرض :

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروق

أذبّ وأحمي رسول الإله حماية حام عليه شفيق

هذه الأبيات الأربع تكفلت بتحليل نفسيته ، فصورته لنا موحداً مؤمناً بالله ورسوله واليوم الآخر .

وإليك أيضاً ما يدلك صريحاً على إيمانه بكتاب الله المنزل على نبيه المرسل حيث يقول :

أنت الرسول رسول الله نعلمه عليه نزل من ذي العزة الكتب

ففي هذه الأبيات ما يكفي لإفلاج حجة الخصم ، وإقامة الحجة عليه فيما تمحل له من التشكيك في إيمان شيخ الأبطح ، سيما وأنّ الإيمان عند الخصم لا يتوقف على لفظ خاص كقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، بل إنّ المعروف من طريقته إثبات الإيمان بكل لفظ يدل على الشهادة بالتوحيد والرسالة ، وإن لم يكن بتلك الصيغة الخاصة ، بل وإن لم يكن باللغة العربية ، كما يرشدك إلى ذلك ما حكاه العلامة الدحلاني في اسناه ص ٥ نقلاً عن السيد محمد البرزنجي ، قال : ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصها كما ذكر النووي في الروضة ، ونسبه إلى الجميع ، فنقل عن الحليمي في منهاجه أنه لا خلاف أنّ الإيمان ينعقد بغير القول المعروف ، وهو كلمة لا إله إلا الله ، حتى لو قال لا إله إلا الرحمن ، أو إلا الرحيم ، أو ما من إله إلا الله ، وكذا لو قال محمد نبي الله ، أو مبعوثه أو أحمد مبعوثه ، أو غير ذلك ، أو ما يؤدي ذلك باللغات العجمية صح إسلامه ، وحكم بكونه مسلماً ، انتهى .

ومن هنا يمكنك أن تستنتج أنّ القوم لا يفرقون في الإقرار بالشهادتين بين النظم والنثر كما هو الحق .

إنّ شعر أبي طالب في هذا الباب كثير وكثير جداً . فمن ذلك قوله :

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل

وقوله :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً نبياً كموسى صح ذلك في الكتب

وقوله :

أنت ابن آمنة النبي محمد عندي بمثل منازل الأولاد

وقوله :

والله لا أخذل النبيّ ولا يخذله من بنيّ ذو حسب

وقوله :

نبيّ أتاه الوحي من عند ربه ومن قال لا يقرع بها سنّ نادم

وقوله :

أنت النبي محمد قرم أغر مسود

وقوله :

ألا إنّ أحمد قد جاءهم بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله في أبيات :

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أو كذي النون

وقوله يخاطب النجاشي كتباً :

أتعلم ملك الحبش أنّ محمداً نبيّ كموسى والمسيح بن مريم ؟
أتى بهدى مثل الذي أتيا به وكل بأمر الله يهدي ويعصم[1]
وإنكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا وإنّ طريق الحق ليس بمظلم

يدين أبو طالب بدين الحق ، ويعترف لدى محكمة الضمير بأن

---

(١) كذا .

محمداً كموسى وكالمسيح بن مريم قد صدع بأمر الله تعالى ، يهدي إلى الصراط السوي ، يدين بذلك كله عن اجتهاد ومعرفة ، ولذا أهّل نفسه لأن يكون كمبشر ديني ، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويدعم الدعوى بالحجة ، ففي أول كلامه مع ملك الحبشة استعلم حاله ، فقال : أتعلم أنّ محمداً كموسى والمسيح ؟ ولما كان ذلك دعوى مجردة والدعوى لا تقبل بدون برهان ، وسيما مثل هذه الدعوى ، أدلى بحجته في البيت الثالث فقال له : أيها الملك إنكم أهل دين ، وكتاب سماوي ، وكتابكم هذا اكبر شاهد على ما أقول في شأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وها أنتم تتلونه في المساء وفي البكور ، ذلك الكتاب الذي لا ريب في صدق حديثه عندكم . وبعد أن ألزمه الحجة دعاه إلى الطريق اللاحب فقال ﴿ **ولا تجعلوا لله نداً** ﴾ البيت .

وقوله يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك مخافة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

يبتدىء أبو طالب كلامه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيمين الإخلاص لعرش النبوة بحماس شديد « **والله لن يصلوا إليك بجمعهم** » البيت ، ثم يطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم نشر لواء النبوة على ربوع الحجاز « **فاصدع بأمرك** » ويشجعه على ذلك طوراً بنفي المخافة ، وتارة بتعهده بذلك ، « **وابشر بذاك وقر منك عيونا** » ، ثم يجيب نداء المبعوث بالحق للخلق كافة ، فيشهد عن علم جازم ويقين ثابت بأن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير دين أخرج للناس « ودعوتني وعلمت أنك صادق » إلى آخر البيتين .

إنّ فيما ذكرناه من منظومه في هذا الباب ما يميط جلباب الظلام عن وجه هذه المشكلة ، ولئن شكك مشكك في بعض ما نقلناه من المنظوم ، ففيما صحت روايته عنه عليه السلام عند الفريقين كفاية ، وقد ذكرنا تحت عنوان شعره ما صحت روايته عند الجميع ، فراجع .

كلمــة الختــام
تستوضح فيها تحامل القوم على أبي طالب

طـالما حملنـا الخصم على أحسن المحـامـل وانتحلنـا لـه أعـذاراً بقــدر الإمكـان ، حتى لم يبق في القــوس منــزع ، ولا للحمــل على الصحة موضع ، ذلك لما نشاهده من اختلاف احواله وتناقض اطواره .

يتشبث بمـا هـو أوهى من بيت العنكبـوت ، وبـأخبـار حليـة ليثبت النجـاة تارة والإيمـان أخرى لكـل قاسط عـاهر ، ومـارق ماكـر ، وفاجـر كـافر ، فـإذا ذكرت لـه أبـا طـالب انعكست القضيـة ، وتغيـر المنحى ، وانقلب الأمـر رأساً على عقب ، ولـذا تـراه يستمسـك بـأخبـار الضّعـاف والكـذبة لاثبـات كفره والعيـاذ بالله ، ويـرشدك إلى مـا نقول مـا في ضياء العالمين

يقول المحقق الفتوني صـاحب الضياء ، ذهب جمـع إلى أنّ قاتـل عمــار بن يـاسر في الجنــة ، ذلـك لأن رجــلاً رآهمـا معــاً في الجنـة ، في حين أن النص الصحيح الصريح عندنـا وعندهم قـد ورد عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم قـائـلاً : إنّ قـاتـل عمـار في النـار ، وبتلك النغمـة جـاءنا جمـع منهم أيضاً فقـالوا : إنّ قتلى القـاسطين في صفين ، وقتلى المارقين في النهروان في الجنـة ، ذلك لـرؤيا رآهـا شرحبيـل بن السمط عامل معاوية على حمص وشـريك بسـر بن أرطات وأبي الأعـور السلمي

في أعمالهما ومناكيرهما في توطيد دعائم ملك معاوية ، وقد ذكر ذلك الإستيعاب في ترجمة شرحبيل ، وهذا القدر يكفي في تعريف شرحبيل .

يقولون قال شرحبيل : رأيت في المنام عمار بن ياسر وذا الكلاع ـ الذي قتله أصحاب علي عليه السلام ـ في ثياب بيض في أفنية الجنة ، فقلت ألم يقتل بعضكم بعضاً ؟ فقالا بلى ، ولكن وجدنا الله واسع المغفرة ، فقلت ، ما فعل أهل النهروان ؟ ـ يعني الخوارج ـ فقيل لي لقوا ترجأة .

ولقد أغرب فريق منهم ، فذهب إلى إيمان فرعون ، حيث قال وقد ادركه الغرق ﴿ آمنت أن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ﴾ والحال إن صريح القرآن يرده ﴿ **الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾ .

ومن ذلك قولهم إنّ حاتم الطائي يدخل النار لكفره ، لكن لا يعذب مطلقاً لجوده ، وان كسرى أنو شروان لا يعذب لعدله .

هذا هو المعروف من حالهم ، فإذا عرجت بهم على أبي طالب قالوا : هو في ضحضاح من نار تغلي منه أمّ رأسه . يا سبحان الله ، أترى أن كسرى ينفعه عدله ، وحاتم يدفع عنه العذاب جوده ، ولا تنفع أبا طالب قرابته القريبة من الشفيع محمد صلى االله عليه وآله وسلم ، ولا يغني عنه جهاده بين يديه ، وذبه عنه ، وتعريضه أولاده للقتل دونه ، ومدائحه له ، ونعماؤه عليه مدة حياته ووو ، إلى آخر ما هنالك ؟ وليت شعري كيف يكون أبو طالب والحالة هذه أسوأ حالاً من حاتم وكسرى ، في حين أنّ لكل واحد منهما خصلة واحدة نظير العدل والجود مثلاً تكفل النجاة حسب المدعى ، ولا يكون نظير ذلك لأبي طالب ، وهو الذي له الخصال الحميدة التي لا تحصى ؟ أترى يجوز

عقلاً أو ينطبق على قاعدة منطقاً ، أن يكون أبو طالب طول حياته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حالته التي عرفتها ، من جلاد وجهاد باليد والقلب واللسان ، وبذل كل عدة وعتاد بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم تكون نتيجة أعماله هذه مع النبي الكريم أن يترقب فرصة موت ذلك العم البار ليجعل أجر إحسانه ، وجزاء بره وحنانه ، ذمه وقدحه من جملة سنته ، يخبر الناس تارة أنه جمرة من جمرات جهنم ، وطوراً أنه في ضحضاح من نار تغلي منه أمّ دماغه إلى غير ذلك ؟ .

هبوا أنّ أبا طالب والعياذبالله ـ كما تزعمون، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ بأيّ آلاء أبي طالب تكذبان ؟ .

أين أداء حق أبي طالب ، أين أجر حياطته ؟ أين ذكر مودته ، أين وضع ذلك كله ؟ أبو طالب ، أتراه وضعه في غير محله ، فذهب أدراج الرياح ، وجوزي بالسوأى عن الإحسان ، كلا ، ثم كلا .

أليس النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو القائل : لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات ؟ ولما أخبرته بنت أبي لهب أنّ الناس يقولون لها بنت حطب النار قام مغضباً ، قال[1]: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي ؟ من أذى قرابتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ، أفكان أبو طالب أشر من أبي لهب فغضب النبي لأبي لهب لقول الناس فيه حطب النار ، ولا يتحاشى هو من أن يحدث الناس بأن أبا طالب جمرة من جمرات جهنم ؟ أو كانت بنت أبي لهب أغير على أبيها من عليّ عليه السلام وجعفر وعقيل ، او كانت هي أجل منهم وأعز مكانة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

أيها الخصوم ، لم نر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالغ في ذمّ

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي ، الأسنى ٢٣ .

أحد من مردة قريش وكفرتها بعد موت أحدهم ، حتى الأعداء الألداء الذين حاربوه وأفجعوه بجملة من ذوي رحمه ، إذاً ، فما قولكم فيما تدعونه وترووونه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الذم والطعن في أبي طالب ولست أدري كيف صارت محامد أبي طالب أسوأ حالاً من مخازي كفرة قريش ، وعليه ، فها أنا أستفتي الخصوم في ذلك ، فما يقولون ؟ .

وأعجب ما رأيته من الخصوم تظاهرهم في المراوغة عن طريق الحق ، نذكر لهم مغامرة معاوية في الدين ، وولوغه في دماء المسلمين ، وقيامه على عليّ عليه السلام ظالماً له ، ونذكرهم ببوائق يزيد واحداثه في الدين ، وتهتكه بمرأى ومسمع من كافة المسلمين ، فيقولون إنّ تلك الأحوال غابت عنا ، وبعدت اخبارها عن حقائقها ، فلا يليق بنا أن نخوض في دقائق أمور الملك وأحوال بني عمه ، لكن هلم فاسمع اللغط والغلط والهرج والهذيان وتسطير الأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان ، عندما تلقي عليهم طرفاً من المذاكرة في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو شأن والده صلى الله عليه وآله وسلم أو أمه ، حيث ترى منهم من يقول ماتوا كفاراً ، وآخرين يقولون أولئك جمرات جهنم ، وأحدهم يقول : أبو طالب مات على الكفر والضلالة ، وآخر يقول : نعم أبو طالب في ضحضاح من نار ، وآخر ينادي : رسالة النفس رسالة النفس تشهد بكفره ، وهكذا تأتي نغماتهم متساوية التوقيع على أوتار الأهواء .

في هذا المقام أعرضوا عن قاعدتهم التي ضربوها ـ قبح الخوض في دقائق امور الملك وأحوال ذوي رحمه ـ . هكذا نرى منهم التناقض في القول والعمل والمراوغة البينة بدون خجل .

أيقبح من الرعية الخوض في أحوال أبناء عم الملك الذين ما زالوا مذ كانوا يبغون الغوائل ، ويريدون النوازل في الملك ، ويعملون

ليلهم ونهارهم على محق قانونه من أصله ، لا يقبح الخوض في أحوال والد الملك ووالدته وعمه الذي بذل كل مافي وسعه في حماية الملك من أعدائه ، وسعى سعيه الذي به انتشر قانونه في الآفاق ؟ نعوذ بالله من سبات العقل واتباع الهوى .

وخذ لك مثلاً ، حب البعض منهم البقاء على الجهل مشياً مع سياستهم الزمنية ، لتعلم أن القوم بجملة صنوفهم في معزل عن الحقيقة ، ذلك ما حصل للوزير يحيى بن هبيرة مع أبي الفوارس ، يقول أبو الفوارس الشاعر : حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة ، ومعي يومئذ جماعة من الأماثل ، وأهل العلم ، منهم الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي ، وأبو محمد الخشاب اللغوي ، وغيرهما ، فجرى حديث شعر أبي طالب ، فقال الوزير : ما أحسن شعره لو كان صدر عن إيمان ! فقلت في نفسي ، والله لأجيبنه بالجواب قربة إلى الله تعالى ، فقلت له : يا مولاي ، ومن أين لك إنه لم يصدر عن إيمان ؟ فقال : لو صدر عن إيمان لكان أظهره ولم يخفه ، فقلت : لو أظهره لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ناصر ، فسكت ولم يحر جواباً ، وكان لي عليه رسوم فقطعها من ذلك اليوم ، وكان لي فيه مدائح مسودات فغسلتها جميعاً .

أنظر إلى حالة معالي الوزير ، وإلى حبه البقاء على الجهل ، حيث لم يرتض الجواب ، بل سكت واجماً مضمراً لأبي الفوارس السوء كما فعل ، فلو أنه أراد الحقيقة لأفسح لأبي الفوارس المجال في الكلام ، ولتبادلاه ملياً ، لأكثرا فيه البحث والتنقيب كلما لم يقتنع حتى يقع على كبد الحقيقة ، فإنها بنت البحث، لكن ما العمل ﴿ **أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** ﴾، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

هذا ما أردنا بيانه وقد تم تسويده في النجف الأشرف على مشرفها آلاف التحية والسلام ، في السادس من ربيع الأول عصر

الجمعة سنة ١٣٤٩ هـ على يد مؤلفه الفقير إلى مغفرة ربه الغني ، محمد علي شرف الدين الموسوي العاملي غفر الله له ولوالديه ، والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله الأطيبين ، وسلم تسليماً كثيراً .

الكـتاب والكـاتب

تقريظ الملك يحيى إمام اليمن

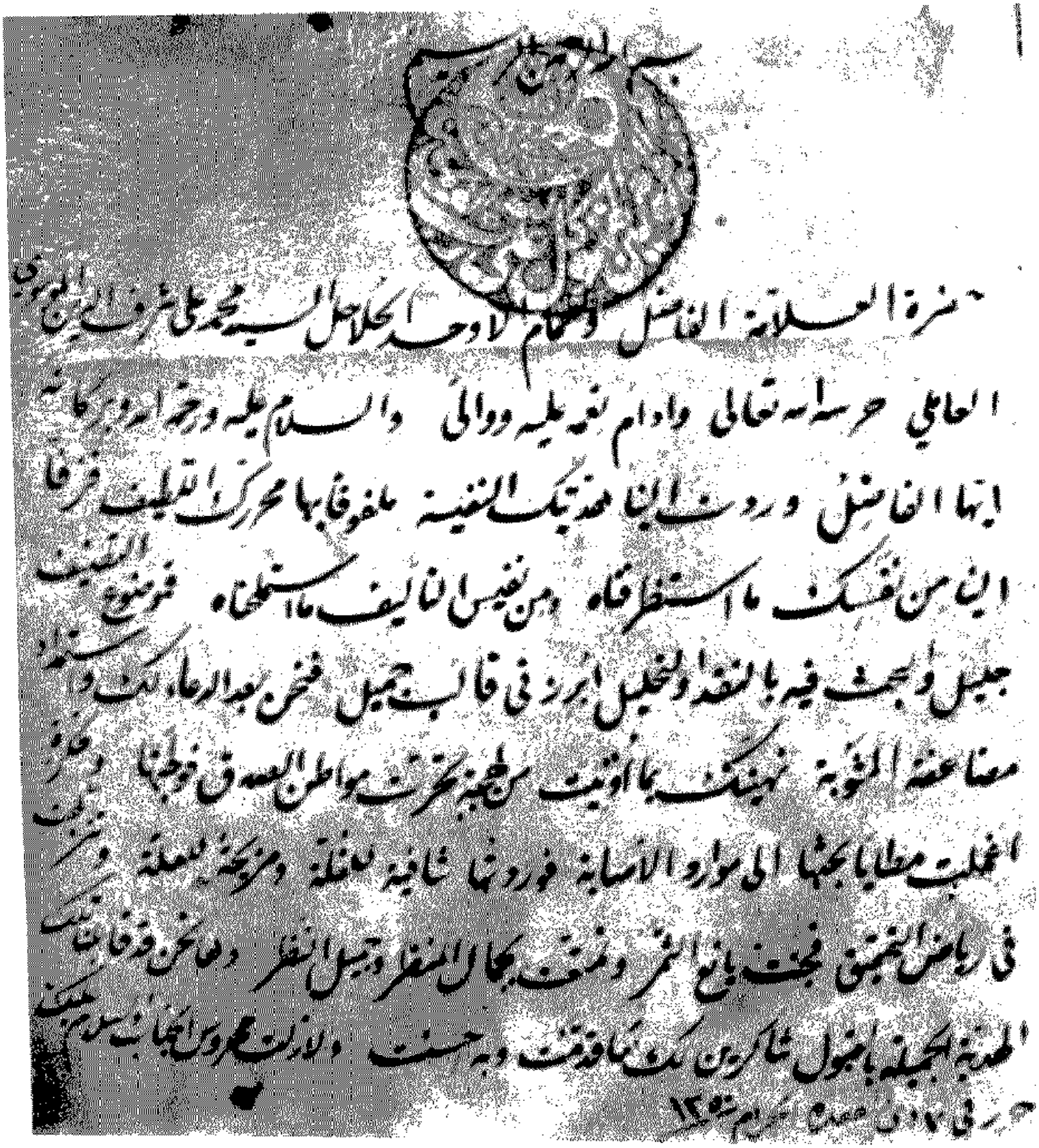

تقريظ

بقلم ـ : العلاّمة السيد محمد صادق بحر العلوم

هذا الكتاب ، خير كتاب الف في هذا الموضوع ، حلل نفسية شيخ الابطح ابي طالب (ع) وبيَّن ما له من الفضل ، وكبير القدر ، في جميع ادوار حياته ، وبحق ظهر للوجود وحيداً في بابه ، تاريخياً فلسفياً علمياً ، جيد التبويب والترتيب ، مفرغاً في قالب بديع متين ، واسلوب جذاب ، والفاظ قوية بليغة ، أثبت ايمان ابي طالب (ع) واسلامه بأدلة قطعت الخصام ، وبراهين سطعت فأماطت عن وجه الحقيقة سترة الظلام ، ولذا لم يمض على طبعه أكثر من شهر واحد حتى انتشر في الاقطار الاسلامية جمعاء ، وبعد مضي خمسة اشهر من تاريخ طبعه ترجمه في لكهنوى احدى حواضر الهند الكبرى ، العالم الفاضل السيد جعفر مهدي الى اللغة الهندية الأوردية ونشره بتلك اللغة أيضاً أولا في الجزء ٨ و ٩ و ١٠ من المجلد الخامس من مجلة (سهيل يمن) ثم طبعه ثانياً مستقلاً . وتقديراً لجهود مؤلفه الجليل ، اتيت بكلمتي هذه ، كما قدر جهوده قبلي جمهور من الاماثل ، فقد اطلعت على الكتب التي جاءت للمؤلف من الاقطار في اطراء كتابه وهي كثيرة ، وفيها التقاريظ القيمة من العلماء الاعلام ومن ملوك الاسلام ، منهم من آتاه الله من فضله العلم والملك ، وجمع له بين السلطتين الدينية والزمنية .

عاهل اليمن الامام يحيى خلد الله ملكه ، واما تقاريظ الصحف في العراق وسوريا ومصر ، فقد كانت حافلة بالشكر والثناء ، والمدح والاطراء ، كثر الله من رجال العلم والعمل امثال السيد المؤلف ولا حرم العالم الاسلامي من ثمرات جهوده، وجزاه عن حبره ابي طالب . وعن الحقيقة خير جزاء المحسنين .

المؤلف في سطور

مراحل من حياة المؤلف

ولد السيد محمد علي شرف الدين ـ نور الله ضريحه ـ ليلة السابع عشر من رجب ١٣١٧ هـ ١٩٠٠ م في النجف الاشرف المهاجَر العلمي لآية الله والده مد الله بعمره الشريف وكان الفقيد في الخامسة من عمره يوم عاد ابوه : ابو الأمة الى الوطن . وذلك في جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٥ م .

وكانت مخائله ، منذ فجره ، تدل منه على عبقرية . وتشير فيه الى تفوق . فقد كان صباه حافلا بمظاهر من النشاط العقلي يؤكد رجولة الصبي الطالع ، ويلف حوله الاصدقاء والمعجبين ، درس على ابيه العلوم العربية ، فكان المثل في النضج ، والهضم ، والعمق . والدقة ، والاعتدال . ومما يذكر في هذا الصدد ان تحصيله الاول لفت نظر الطلبة والاساتذة يوم اتصل بهم في اوساط الكاظمية

والنجف العلمية العليا،على أنّ موهبته العلمية التي نصف لم تُضعف من مواهبه العملية ، بل كانت تصقل كفاآته المختلفة التي تؤلف شخصية قوية اعمدتها الحُرية والخير والذكاء والطموح.ففي صباه نجد الى جانب ثقافته العربية مشاركة في الاحداث السياسية مستندة الى تفكير عقائدي اصلاحي . وفق ما تتطلبه تلك الفترة وبقدر ما يسمح به ذلك العهد . ثم نجد انه عانى التجارة كي يستجد الثروة التي تمهد له اسباب العمل واننا لنلاحظ ـ بوجه خاص وظاهر ـ اخلاصه المشدود الى الاتقان في كل اتجاهاته ، فهو يخلص لدرسه . ولعمله في الحقل العام ، ولتجارته ـ يوم اتجر ـ يخلص لكل امر من هذه الامور على حدة ، كأنه خلق له وحده .

هذه جملة ما شغل به خلال خمس عشرة سنة ، تبتدىء من الخامسة من عمره حتى العشرين ، لم نغفل منه سوى الاشارة الى انه اشتغل في التعليم ، اذ عين مدرساً رسمياً في العهد التركي .

وفي ربيع الاول ١٣٣٧ هـ ١٩٢٠ م هاجر الى العراق لطلب العلم ، بسبعين ليرة ذهبية كان وفرها من تجارته .

وكأنه كان والأحداث المبدعة على موعد ، اذ التهبت ثورة العشرين في العراق وكان من أعلامها سماحة الصدر ، بل كان علم اعلامها في وادي دجلة ، واذا علمنا قربى الفقيد من سماحة الزعيم نسباً وعقيدة ، انكشفت هذه المرحلة عن صفحة غنية من حياة الفقيد العزيز نقرأ فيها تمرسه بالثورة تمرساً ينمي نزعته الاصلاحية ويغذي

طموحه الرسولي ، فقد كان يرافق سماحة الصدر الى تلك المهرجانات الشعبية التي يعرفها تاريخ بغداد الحديث ، وما كان اثرها ضعيفاً في نفس الشاب الوثابة ، وحسه المرهف ، بل كان تفجيراً لطاقته ، واذكاء لعزائمه . وبينما كانت هذه التجارب تبلور نظرته الى الحياة ، كانت معاناته للدرس تشحذ ذهنه وتدفعه دفعا سريعا قويا نحو الغاية .

وفي ثلاث عشرة سنة منذ وروده العراق أحرز تقدما باهراً في الناحيتين العلمية والاجتماعية .

اما في الاولى فقد رفعه فضله منها الى عداد النخبة من الاعلام ، والصفوة من المفكرين ، بشهادة اساتذته ، ونذكر منهم الاقطاب : كالسيد حيدر الصدر ، والشيخ مرتضى آل يس ، والشيخ محمد علي الخراساني ، والشيخ محمد تقي صادق ، ثم الميرزا حسين النائيني، والسيد ابو الحسن الاصفهاني ، والشيخ محمد رضا آل يس ، والشيخ ضياء العراقي ، والعارفون هم الذين يقدرون وزن هذه الاسماء (الرموز) وقيمة شهاداتهم : « الاوسمة ».

وتشهد قبل ذلك بفضله آثاره . فله كتابان في ابي طالب شيخ الابطح وابنه امير المؤمنين (علي). وله ديوان شعر في مختلف الاغراض واهمها الاجتماعية ، وهو فيها جميعاً منظم الفكر . واضح العبارة مترف الذوق ، صحيح المنهج ، أبعد شيء عن الفضول والسطحية . هذا عدا المقالات والابحاث المختلفة ، وقد مزق آثاره

المخطوطة ، ولم يبق الا المطبوع ، وهو « شيخ الابطح » والمقالات المنشورة في مختلف المجلات . ونقاد شيخ الابطح يجمعون على وصفه بأنه خير الكتب في موضوعه ، وعلى انه من خير ما يكتب في الدراسات التاريخية .

واما في الناحية الاجتماعية فقد رفعته موهبته الى القمة ، ولطالما استشرفه الناس في عليائه ، كما يستشرفون النجم ، ولعله اول لبناني يهز النجف ، ويرج السياسة العربية بمثل موقفه من حوادث البقيع ، وموقفه في حادث الحصّان : ذلك المفرّق المأجور ، وغيرها من الاحداث العامة ما بين عامي ٢٨ و٣٣ م . واذا قلنا « النجف » هزها ، فانما نرمز الى عظمة لا تتفق الا للاقلين من افذاذ العباقرة فالنجف عاصمة من اضخم عواصم الفكر في الشرق . لذلك لا يهزها الا الأوحدي الأوحدي .

ومما تجدر الاشارة اليه ان قادة الرأي في النجف الاشرف ارتأوا آنذاك تأليف مجلس اعلى يشرف على الاحداث الكبرى ، وتنظيم موقف النجف ازاء كل منها بخطة تنسجم وضخامة النجف ، اذ كانت ولا تزال وستظل مركز الثقل في العالم الاسلامي ، باعتبارها موجهة لعشرات الملايين من طبقات الشعوب الشرقية . واختير يومئذ عضواً لهذا المجلس ، فكان واسطة عقده ، وفي المجلس من الزعماء واقطاب الرأي ، مثل الشيخ جواد الجواهري ، والشيخ عبد الكريم الجزائري ، والشيخ كاظم الشيرازي والشيخ عبد الرضا آل الشيخ

راضي ، والسيد محمد علي بحر العلوم ، والسيد محمد الخلخالي . والسيد محمد رضا الصافي .

وان كان لا بد من الاستشهاد برأي كبير من مفكري العصر وعباقرته فان المغفور له الملك فيصل الاول والسيد محمد الصدر ، ومن ذكرنا من الاعلام ، كانوا جميعا شديدي الاعجاب بالفقيد عظيمي الاطمئنان اليه .

هكذا عهد الناس به قبل عشرين عاما : قوة في الشخصية وبعداً في الهمة ، ونفاذاً في الرأي ، وجلالة في القدر ، الامر الذي دعا والده ـ حفظ الله مهجته ـ الى الاستعداد لاستقدامه ووضعه من بلادنا في مقامه ، ولكنه ـ يا للفجيعة ـ كبا به الفرس ، وعثر تحت قدمه الدهر ، فكانت خسارة ابيه ، ـ وابوه عزاء الامة عن كل فادح ـ وخسارة البلاد عظيمة فادحة .

كان عالمه عالما خيراً ، طاهراً ، مثالياً ، سلاحه الصراحة والايمان والشجاعة ، وكان واقع الحياة واقعاً شريراً ، دنسا ماديا ، سلاحه الخداع والنفاق والدسائس ، وكان يريد لعالمه ان ينتصر في هذه المعركة ، فخر صريعها ، وتوارى ، في عزلة صوفية ، شهيد فكرته النبوية ، غير انه ظل عشرين عاما ، قبل موت جسده ، يعاني آلام الجراح في تمرد وعنفوانية وجبروت وظل يكافح . . ظل في مكانه من المعركة .

هذا هو السيد محمد علي الذي غاب عنا عشرين عاما ، ثم اطل علينا من القبر . . سماء القبر ، في حياته الجديدة . اطلالة ضوء من التاريخ . . !

لجنة الإحتفال

رأيتك تقود الجماهير

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

لعلّ أبا الطيب المتنبي أوحي اليه أن سوف يكون لزمن يأتي بعد عشرة قرون مولود يتحدث عنه التاريخ حديثاً لا يشبه بقية الاحاديث في سجل البطولات والرسل . ويكون في طبيعة هذا المولود سر أعمق من الاسرار ومعنى أدق من معاني الدنيا التي تعرفنا عليها . معنى يعود بنا الى عهد بعيد في نفوس المصلحين القدامى الذين عذبوا في تطبيق منهج الرسالة ، وفي أداء الفريضة الاصلاحية .

نفس كبيرة في شباب الفقيد ينوء بها جسم أهف هزيل لا يقوى على مقاومة التيار الفكري العنيف ، ولا ينهض بتكاليف النفس القاسية .

نفس الشباب في ريعانه . همة الفتوة في عنفوانها . أفكار تريد أن تستبق الزمن ، طموح يريد أن يبلغ الغاية قبل الاوان ، إصلاح عام من مصلح أعزل الا من صلاح نفسه لمجتمع مسلح بجميع أنواع الموبقات والاثام ، تريد أن تكون الافغاني مرة ، والشيخ محمد عبده مرة ثانية ، وتريد بعد ذلك أن تكون (فيصلا) يفصل بين الحق والباطل ، يغشى بيوت الظالمين ، فينكل تنكيلا ويدمر تدميراً حتى لا يبقى منهم ديارا .

تريد دنيا كاملة بما فيها السيف والقلم ، ولم تكن تكمل ـ بعد ـ لها العدة ، ويتهيأ لها العديد . فكانت كما اقتضت الاسباب أن تكون ملاكاً

معذباً بين السماء والأرض ، لا هو في الأرض تخفق له الاعلام ولا هو في السماء تتفتح له أبواب الجنان .

عشرين عاماً قضاها ، وهو كلمة الفجيعة تتردد في أذني والده . ساعد الله والده . أرأيت شهيداً يحتضر عشرين عاماً بين ذراعي ابيه ، أرأيت مأساة أشد من هذه المأساة وفجيعة أمرّ من هذه الفجيعة ، أرأيت الريحانة قلب ابيه ينوء في دنيا من الاثقال والمآسي أثقال تغل الحديد وتهد الجبال هداً . أرأيت الأخ الشفوق والأقرباء والاصدقاء ، يتململون مئات من الليالي حيارى في أمر ذلك القضاء الذي ألمّ فأعيى الصابرين ، واستتب فأرهق أعصاب المشفقين ، وابكى حتى العيون التي لا تبكي .

رأيتك (ابا الرؤوف) في النجف الشريف تقود الجماهير قبالة الخائن (الحصّان) مفرق الصفوف ، رأيتك وانت بين الصفوف : وثبة الكريم إذا مست له كرامة ، وصولة الشجاع إذا غمزت له قناة ، ومنطق المصلح إذا احتكت الاعواد بالأعواد ، وقرعت الحجة بالحجج . ورأيتك مرة ثانية كذلك في النجف الشريف تعيد كرة الابطال بين الجماهير تنتصر لائمة البقيع اجدادك .

ورأيتك بعد هذه وتلك الملاك المعذَّب المعذَّب الذي تحدثت عنه فكدت ان اشذ لولا ايماني بالقادر القهار .

وبالتالي رأيتك الجثمان الصامت تكر بالالوف من الناس الى عبرة العبر ، الى حفرة بمقياس طولك وعرضك ، بعد ان كنت تكر بالوف والوف الى مرابع العز الفسيحة واهداف الكرامة السامية .

والآن لا اريد ان ارثيك بدمع منهمر وقلب منكسر ، وإنما اريد ان ابارك لك في رحلتك ، واهنئك في بعدك عن دارنا الدنيا . انك تحت رعاية الحاكم العادل ، وفي كنف الغفور الكريم ، انك بين يدي ولي تسع كل شيء رحمته . واننا في دارنا هذه : عبيد العبيد ، وارقاء

الارقاء ، نحتكم للامام الجائر ، ونحيا ونموت في ظلال المستبد الاثيم . انا نسبح ولكن لا بحمد الله . ونقيم الحدود ولكن على الابرياء وعندنا نار اعددناها للاحرار ، وجنة اعددناها للخائنين والفجار ، ولنا قادة نطعمهم حتى الاكباد ، ونسقيهم حتى دم الوريد . وما عليهم بعد ذلك ان شبعوا والح علينا الجوع ، وان اكتسوا والحف علينا العري ، وإن تعلموا وظللنا نتخبط في ظلمات الجهالة ، علينا نحن ارقاء الارقاء ان نأخذ بالركاب ، ونحتفل بالمواليد ، ونمد عند الحاجة الاعناق ، ونحيي ونعيِّش حتى تبح الحناجر ، وليس عليهم جزاء ذلك الا ان يوصدوا في وجوهنا الابواب ! حتى لا تتدنس اعتاب القصور في أقدام سكان الاكواخ . . .

وانت يا سيدي يا باني هذا الصرح الخالد مع الدهر .

انت يا شيخ الطائفة ، ويا مجد الامجاد ، وسيد البلاد ، انت مرجع الامة إن ادلهم خطب ، وعزاء المصاب ان تفاقمت المصيبة . انا في الوقت الذي اعرض شعوري بالكارثة اهنئك في نشء كامل وجيل اوشك ان يكتمل على يدك وفي هديك . هذا الصرح يلد لك في كل سنة مئات من الاولاد ، كل ولد منهم يقول انا السيد محمد علي شرف الدين ، انا ولدك البار ، ولك لدات غير هذه اللدة . لك حياتك الحافلة بالمآثر الخالدة ، لك غمرك ـ اطال الله عمرك ـ الذي وهبته للأمة ، واوقفته على الفضيلة وحل المشاكل والجهاد في سبيل العلم والدين . ولك من وراء ذلك انجالك الفضلاء ، واحفادك الاعزاء ، وشباب هذه الأمة الاخيار .

احمد مغنية

حطم جناحاه جناحيه . . .

هل رأيت الأرض ؟

هل رأيت الأرض زحزحت بخصبها ، وأتت قبل اوانها اكلها . فذهل اذ جاءها الربيع ، وقد عرمت اهواؤها . واقفرت بيادرها وتناثر فوقها مع الهشيم ، والزؤان !

أرأيت القصر وقد دالت دولته . وعفى ملكه . وانحسرت اضواؤه لا يزال بعد زلزاله قائماً : في كل شامخ من اعمدته كبرياء ـ على هون الزمان ـ وفي كل لفتة من روائعه روعة ـ على جور الحدثان ـ وفي كل زاوية من حناياه ذكرى وطنين وفراغ !

هلا رأيت جياد الطراد ؟ جواد يقطع شوطه ثم يلهث في آخر الطريق ويستريح في الفيء ، وجواد يلتهم الميدان التهاماً ولا يزداد الا جذوة ووثوبا ، فيتخطى الحلبة المعبدة ، ويطيح فوق الاسوار الحاجزة ، ويقفز الى المسالك الوعرة ، ويخبط في مفاوز الجبل يروّع خيل الوحش ويجلجل اصداء الوادي . حتى اذا تأكلته نشوة الجموح ، وتعتعه هذيان القوة ، تهافت على قوائمه ، دمه المحموم ينساب بين الشوك والصخر . وصهيله الظافر لا يزال في الحلبة يدوّي !

هل رأيت النسر ؟

هل رأيت النسر يحلق ويسف ! يسدد في تحليقه كبد السماء فيهوي مبهوراً وقد حرقت الشمس عينيه . يتعثر بالهواء ويترنح في الاجواء ، يحطم جناحاه جناحيه ، فهو في انطلاقه اشعاع . وهو في تخبطه اعصار ،

وهو في عماه روعة ، وهو في مهواه مهيض جبار !

هل رأيت من آيات أهل الكهف عجباً ! يميتهم ربك وهم أحياء . يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، ضرب على آذانهم وربط على قلوبهم فهم صم ذاهلون . تحسبهم ايقاظاً وهم رقود !

ألم تر الى ربك كيف مدَّ الظل ، ولو شاء لجعله ساكناً ، ثم ألم تر كيف يقبضه اليه قبضاً يسيراً .

ألم تر الدنيا تقبل وتولّي ، والانسان يقسو عليه القضاء ، ويوغل فيه القدر . يكتسي ويعرى ، يسمو ويهون ، يبصر ويتيه ، يهدي ثم يرد فلا يعلم بعد علم شيئاً !

اذا رأيت ذلك فقد رأيت عظمة السماء . وذل الأرض ، ورأيت جبروت الله وهون الانسان ، وبخعت بهدي الدين ورضخت لعظة الدنيا .

سبحانك ربي ! هل قضاؤك وقدرك الا قسط وتدبير . وهل منعك وعطاؤك الا عبر وحكمة . وهل وعدك ووعيدك الا رحمة ونذير .

سبحانك ربي تعزّ وتذل ، وتمنع ، تحيي وتميت ثم تحيي .

غفرانك ربي نضل فتهدي ، ونخطىء فتغفر . غفرانك انت الازلي الصفات الرحمن الرحيم . تقيم حداً لانتقامك ولا تقسيم لرحمتك حداً .

رحماك ربي بيدك اعنة الزمان ، ومنافذ الحكمة وستائر النور. لرحمتك تدفق، ولتدبيرك ميزان . أنت المقدر فلا تسأل . وانت المستوعب فلا تخطىء وأنت الكريم في المنع والعطاء .

صور ٦ ايار ١٩٥٣

الدكتور شكر الله حداد

الحرف لك . لمن بحكمك . .

غمست ريشتي في مجدك ، قبل ان اغمسها في لحدك . وغمستها في ألمك ؛ قبل ان أغمسها في رمسك .

وكانت تنتفض في كل غمسة ، بعصيرك الذي تفردت به عن النظراء ، وكانت ترسم كل مرة ، لونك الذي يميزك على الاكفاء . .

وها هي لا تزال تدرج على هذا البياض ، غميسة بدمائك ، محمومة بدائك ، متمردة بكبريائك . تلك الدماء التي استنزفتها تعلّة طرد هذا الداء الذي صرعك ، حاشى الكبرياء .

ها هي الريشة ، لا تزال تدرج . ولن تقف ، حتى يجف الحبر وهيهات : انه غزير ، يعبّ من صدرك . حار ، يصطلى بجمرك . . . لن تقف ، إنها جبارة كالعهد بك : لا تلتوي حتى تُلوى ، ولا تنهزم ، وان اثخنت ، حتى تُصرع .

* * *

الحرف لك ، لمن بحكمك ، من كل مجاهد صابر لك ، لكل متعهد رسالة ، حافظ امانة .

الحرف خادم لمن خدمه واستخدمه ، مخلد لمن كتبه واستكتبه يصور ، ولا يزور ؛ شأن العدسة اللاقطة ، تخطف المشهد ثم تعكسه .

أقول الحرف « الرجل »: ما أخذ وما أعطى ، ما بنى وما هدم . . الحرف : الصورة الباقية للانسان بين الناس النسخة الثانية للروح في

الدنيا .

والتاريخ حروف تضج بالالحان : يمد صوته ، مدّ المعاني التي تحملها حروفه ، زِنةَ التراث الذي يخلفه واضع الروح ، في جسم الحروف .

وأنت ابا رؤوف ، واحد ممن أملوا الحروف ، وأوقروها بالحسان ، ثيبات وابكارا .

صباك وفتوتك ، غنيان بالتوثب المتمرد ، شبابك وكهولتك ثريان بالتمرد الواثب .

كنت رجلاً في صباك ، محطماً رقم الفتوات ، حين أصبحت فتى في الفتيان . ثم حملت في شبابك ، طاقة قنبلة ، تجمعت ذراتها في اعماق نفسك الطماحة ، وحسك المرهف ،وفكرك الجوال ، فتمردت على الافق أمام نظرك البعيد . . البعيد . . تريد لتنفذ الى ما وراءه ، لتعود الى قومك بعصى تلقف ما يأفكون باكسير يطهرهم ، من الرجس الذي بحمأته يتمرغون . بمبضع سحري يأكل الادران ، ويفتح الاذهان . يكشط الرين عن البصائر ، والغشاوة عن العيون .

رفعت صوتك يجلجل في التائهين ، وأرسلته يرن في آذان النائمين . فما اهتدى ضال ، ولا انتبه راقد ، بل : بح صوتك وانقلب النداء بكاء .

ونزل فكرك الى الساحة ، يستوقف القاعدين ، ويستمشي الواقفين ، ويستركض الماشين . فما وقف قاعد ، ولا مشى واقف ، ولا ركض ماش . بل ركضت وحدك الى المجهول .

وهكذا ارتد طرفك الذي حاول تحطيم الافق ، وعاد حسيراً وخفت صوتك الداوي ، ليعود ضحكاً كالبكاء . وصرع فكرك شهيد

المعركة . ثم انتقلت الى واد آخر ، من الحياة الدنيا ، بصوت أبح ، تنظف جراحه ، فتُنطقه بما يقال ، وبما لا يقال ، وبصر شارد ، يرى ما نراه ، وما لا نراه ، وفكر جامح ، تخونك صوره ، فتلقى ونلقى من ذلك نصباً .

عشرين عاماً تمردت على المجهول ، الذي حار بمعرفته العارفون . وهو ـ يا لجهل الانسان ـ بين جنبيك ، يسري في عروقك ، ويتمتم بشفتيك . يجثم على كاهلك ، وينظر بعينيك . وربما انسلخ عنك ، فرأيته بباصرتيك ، وسمعته بأذنيك ، وحدثته بكفيك . بينما وقف العلم حائراً ، ينفض راحته بين يديك ، ووقفنا نحن نتلظى حيارى نبكي عليك .

اما انت ، فما هادنت ، ولا استسلمت . بل كنت جباراً ، يصارع جباراً ، متمرداً على الداء ، على عالمه السراب . كما كنت متمرداً على الصحة ، على عالمها العجاب . وكما سقطت اولا في ساحة النضال ، من اجل الحق والخير ، سقطت ثانية في سبيل الانعتاق ، من دائك العياء .

فجعت بآمالك صحيحاً ، فمرضت . وتمردت على آلامك مريضاً فدققت باب الموت حتى انفتح . تُرى هل مت ام نحن الميتون ؟!

* * *

نحن ـ اهل الدنيا ـ كعهدك بنا ابا رؤوف : نتكالب على الجثث فيتخم الشبعان ، ويحرم الغرثان : كاذبنا داهية ، يسخر من صادقنا الأبله ، شريرنا شجاع ، يفتك بمسالمنا الساذج .

والسماء كعهدك بها : تمطر ، فيدرك غيثها الانسان ، اينما كان ، لا يحابي ولا يفضل .

والشمس ترسل نورها ، للقصر والكوخ ، للقمة والسفح ، والهواء

يدخل رئة كل انسان ، كل حي . .

اما المتمتعون بخيرات الله هذه ، العالمون بأنها مشاع ، فيود من تخلى عن انسانيته منهم : لو يقتطع الماء والشمس والهواء ، كما اقتطع الانسان ، والحيوان ، والأرض ، والآلة ، مع أن الانسان العامل ، شريك طبيعي لأولئك المقتطعين ، الماء والشمس والهواء . . كما انه شريكهم الطبيعي ، في كل ما يتميزون به عن غيرهم ، من اسلاب هذه الدنيا .

وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يدرك فيه كل عبد مستعبد لانسان ، او حيوان ، او أرض ، او آلة ، ان الانسان شريك الانسان واخوه . لا يخونه ، ولا يسلمه ولا يسخره ، ولا يستأثر عليه .

ليس ببعيد ذلك اليوم الذي نفيء به الى الله ، الى انسانيتنا على ضوء الشريعة السهلة السمحاء ، الى انسانيتنا التائهة ، في مجاهل الفردية والاحتكار ، الى القاعدة الصحيحة الخالدة المدوية : لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى . لا ميزة لانسان على انسان الا بالعمل .

ها هو حلمك ـ ابا رؤوف ـ الذي كبا جوادك في ميدانه . وها هو الميدان مليء بالشهداء والصرعى ، بالجرحى والمحاربين : من كل ثائر على الظلم والظالمين . وها هم الجلادون ، وزبانيتهم ، وسماسرتهم يعدون عدة الهزيمة ، امام الملايين الزاحفة ، تلهث جوعاً وتعباً .

هو ذا حلمك ابا رؤوف الذي كاد ان يصبح حقيقة . وان لك فضل المجاهدين في ميدانه ، نضر الله ضريحك .

* * *

اما انت يا سيدي فقد خجل الدهر ، امام صبرك الصابر . انه يكيد لك ، فتبسم له . يضع الحواجز في طريقك ، فتجتازها برضى واطمئنان . يمنحنك بالمال ، فيراك به زاهداً ، وعنه راغباً . يفجعك

بالولد فتحتسبه عند الله . وانه ـ والله ـ لأقسى امتحان لمن يحمل قلبك بين جنبيه ، ويرفع عبأك على منكبيه .

دم لنا يا سيدي : سفينة النجاة ، وباب حطة . فانت ـ حفظ الله مهجتك ـ الرمق الذي به نواصل الانفاس. وانت ـ مد الله ظلك ـ ذماء الصبر للصابرين، ورصيد الامل للمحتسبين .

جعفر شرف الدين

تاريخ وفاة الفقيد

عزيز على الاسلام فقد « محمد علي » فقيد العلم والخلق الندي
مثالا طوته ناشراً شرع جده يد الحتف سبّاقا بفضل وسؤدد
وعضبا رهيفا أصقلته يد الهدى ليحمي الهدى من كل باغ وملحد
قضى ويد المعروف والخير تشتكي له غِلها والشر منطلق اليد
قد اغتاله المقدار في الزمن الذي بدا فيه فذاً مصلحاً كل مفسد
طموحا الى العليا بهمة أغلب يرى عز دين الله أنبل مقصد
لئن صدّع التفكير منه دماغه فقد ضاق عن بحر من العلم مزبد
أعزي إمام الدين والشرف الذي يشاطره قلبي فمي مقلتي يدي
بشيراً بدا في الخلد تاريخه له عليا لقد أضحى مقام محمد

٣٥ ١١١ ١٣ ٨١٩ ١٨١ ٩٢

سنة ١٣٧٢هـ

وفجر العمر كان هو . . العصر

هو الرشد ، رب الرشد ، موئلة الصبر ، فما هاله خطب به ذعر الذعر
وماذا على «رضوى» اذا هبت الصبا ؟ وفي ظل رضوى للهدى زفر الوفر
عزاءً ، فأنت اليوم مرتبع المنى وذخر الأولى جافاهم الدهر ، والذخر
وبقياً على نفس لديها تطامنت رقاب المعالي ، والزمان بها نضر
لئن قطفت من زهر روضك زهرة ففيه زهور دونها الانجم الزهر
وان لاع منك القلب اطفاء كوكب بأفق فكل من كواكبه بدر
وان ذهب الحتف المغير بفلذة إلى نُزُل أرجاؤها الخير ، والبر
فلا تذهبن في حلمكم حرفة النوى ولا يطوينّ الحلم من جزع نشر
هو المرء لم يخلق لعيش مؤبد بدار شقاء تاه في بيدها الفكر
فكل حسام بعد طول قراعه سيغمد ، والآمال ليس لها أمر
تود الأماني لو مشت بركابها طلائع احلام يحققها فجر
تود ، ولكن لم تبدل حقيقة بليتَ ، ولا عن سيره وقف الدهر
ولا حولت مجرى الحياة رغائب اليها انتهى في امره السير والبحر

***

ويا ظاعنا في موكب من عواطف تحوم على نعش اكاليله الذكر
كأنك فيه قلب كل مشيَع يودعه ، وهو الاضالع ، والصدر
أجل ، هو اعواد ولكن قد انطوت على مهج لم يحك لاعجها الجمر
ويا كوكبا ما دار من حول شمسه لأمر ، وفجر العمر كان هو العصر

ويا خير زهر ضمخ الافق عرفه بنفحة طيب ، وهو في فجره العمر
تركت ،وقد صوحت ، كل حشاشة من الآل ، والاصحاب يصهرها حر

***

سلوا البلد النائي ، سلوا ، عن عبيره فقد طاب منه آهل ، وازدهى قفر
تأرج منه عرفه في شعابه فياطيب عرف ماحكى عطره عطر
فآونة قد كان في رقة الصبا تمر بأوراد يدغدغها قطر
وآونة يحكي اعاصير قفرة تضل بها غبر السراحين ، والعفر
وآنا كرفاف السنا فوق جدول بأرحب سهل ، كل ارجائه خضر
وآنا كرعد في دياج مجلجل اذا ما ادلهم الخطب ، والتبس الأمر
وقد كان يحكي السلسبيل عذوبة وكالغمر عمقاً ، بل يرى دونه الغمر
هو الأفق الزاهي بأبهى مفاتن وأزهى أديم فوقه يطفح البشر
تتيه لياليه بابهى غلالة من النور والساعات من عمره عمر
هو البغتة النكراء ، والليل مطبقٌ ببيداء ، والأيام يثقلها الوزر
يصارع مزوَّر الليالي بعزمة تطامن ان ترهف لها البيض والسمر
لقد كنت في ذهن الحياة كغامض من السر لا يغشيه همس ، ولا جهر
وقد صاغك الرحمن من خير معدن فلا عسره يسر ، ولا يسره عسر
وقد كنت أزهى من فتاة شمائلا وافتك من طرف به كمن السحر
وقد كنت فرداً في خلال حميدة وكيف يبارى من هو الشفع والوتر
سقى جدثا فيه حللت ، من الرضا عزال غواد فهو فيحاء لا قبر

ابن البادية

***

خطوة تطأ النجم

فرخُ نسر يطير في الاجواء من رآه يرود عبر السماء
باحثاً في الفضاء ، في الافق الممدود عن لا نهاية في الفضاء ؟
يتنحى كي يَشحذ المِنسر القاطع في عزلة الوحيد النائي
يتمطى ، مروضاً لخوافيه بَعيداً عن ملتقى الاصداء . .
يرقب الأرض ، تحته كوكبا يسبح في زحمة من الضوضاء
ثم يرتد ، كي يلقنه النسر صنوفا من همة ومضاء
ودروساً عن الطموح الى المجد وعن نيل رغبة عصماء
وإباء عن الدنايا ، عن الاسقاف بل عن قناعة الاغبياء ! . .
فإذا الفرخُ ، وهو نسر فتي يهجر الوكر ضاربا في الجواء
يَركب الريح : جانحاً يحمل الطود ويَهزا من هادر الانواء . .

* * *

. . كبر الفرخُ ، واستوى جانحاه وأعاناه ، فارتقى في الهواء
يَقطع الافق : خُطوة تطأ النجمَ وقلباً يفيض بالاشتهاء!
ومضى كي يعلَّ والنجف الاشرف مهوى العلوم ، والعلمـاء
ذاك مثوى الامام ، اشعاعة النور على كل كوكب وضاء
يرد الظامئون منهله العذب ويُروَوْن من نمير الماء . .
فهوى يُطفىء اللظى ، يرشف العلم لدى خير سادة أصفياء
وابتدا : زقّـة تضاف لاخرى وبأحشائه أُوام الظماء

تلك حال العطشان إن وجد الواحة بعد الاعياء في الصحراء . . .
فاستتمت قواه ، بل غمر النفسُ طموحٌ يندُّ للجوْزاء
مورد خيّرٌ ، وقلب كبير جُمعا . . يا لقوة في البناء !
. . صار نسراً يرى على كرة الارض وفي العمق ، في همود الفضاء .
ملعبا للخيال ، للعقل ، للقوة، للعزم ، للحجى ، للمضاء !!!
دفعته أحلامه للمهاوي حاملا بند ثورة حمراء
إذ رأى في « البقيع » معول غُشم ثائراً للرفات والاشلاء
هادماً للقبور . . تلك قبورٌ جَمّعت خَيرَ عترة الانبياء !
فعلا صوته ودوّى . . وهل يثأر غيرُ الاكفاء للاكفاء ؟
فاذا الرافدان ، موجة ذعرٍ تتحدى شقاوة الاشقياء
وإذا بالعراق يزأر كالليثِ يُؤاذى في حالة استشراء !
واذا النسرُ ، وهو يستبق العمر مَهيضٌ من صرخة نكراء !
من رأى النسر بعد ان عبَّد الجوَّ طريقا ؟ ! . يَخرُّ للاعياء
واهِي العزم طائش الحلم مكبوتاً . . نَبتْ فيه لهفةٌ للدماء ؟
ناء بالحمل ، ثم مال طربا والتوى غُصن بانة هَيفاء
وثوى كالحبيس دون قيود يا لفتك الأيام في البُرآء !
وانطوى : حسرة يترجمها الوجدُ كترجيع ثاكلٍ ورقاء
حانقا يظهر التشوف في عينيه من عزة ومن كبرياء . .
يائِساً مُرهَقا . . ووكرُ أبيه خيرُ مهد يؤويه في البُرَحاء
ذاك حِجرٌ رحبٌ حصين لدى الجلي يقيه من غائل اللأواء . . .
لم يزل فيه ، يَمضغ العيش مراً من تمني الصعود للعلياء
وذووه معذبون حواليه يحارون في شفاء الدّاء !!!
كل جرح يبرا بذر العقاقير وتشفيه جرعة من دواء
غير جُرح يضعضع المصدر الفعال في نفس سيد بناء . .

* * *

إيه : سَهمَ الحمام ، أي جريحٍ قد تخطيت ، مسلما للفناء ؟ ! .
عَيشه كان مفعما بالمآسي وبآلام جرحه ، والبلاء ؟
يجرع الصبوة المريرة للمجد . . فيضوي كشمعة في الضياء
ويُقاسي هموم آماله البيض وقد صار جلها كالهباء
حيث يأوي لهيكل اليأس مشدوداً اليه في غُمة البؤساء

* * *

نَسر ، يا نسرُ . قد تركت تراثا مَعنويا . . مبلوراً للنقاء
حيث خلَّدت ليث مكة « شيخ الابطح » المستخف بالأعداء . . .
هُوَ سفرٌ ؛ للفكر فيه وميضٌ يتحلَّى مدونا للرائي
أثر صارخٌ يدومُ إذا ما متَّ في الدهر : صُبحه والمساء . .

* * *

فَعزاء يا آية الله . . . من مثلك يبقى للناس خير عزاء
علَمِ العالمين ، يدَّرعوا بالصبر ان زار طارق الغمّاء
أنت أرسى الجبال في زحمة الاعصار أقوى من قمة شمّاء
صدرك الرحب ، وهو يعمره الدين منيعٌ وعامرٌ بالرجاء
ذاك شأنُ العظيمِ . . كل مصاب يتداعى بجانب العظماء

في ٢١ / شعبان سنة ١٣٧٢
الموافق في ٦ / ٥ / ١٩٥٣
كامل سليمان

يا صريع الفكر

حطم القبر اذا ما روعت وحدة العرب يد المغتصب
وابعث الصيحة تجتاز بها رهبة الموت وبعد الحقب
قد عهدناك وبغداد لظى ثورة في وجه جيش لجب
ومثالاً جل من ميزه بسنا العلم وطيب النسب
هالة صيغت من النور ومن روعة الدين وصفو الادب
وانبرت في عالم مضطرب ضاع في تفكيره المضطرب
تتحدى ظلمة اليأس وفي حلك اليأس وهول الكرب
بعثت آمالها ساخرة من لظى الكفر وخزي الكذب
هكذا اقبلتَ عزماً جامحاً وشباباً عبقري المطلب
ومضت أبصارنا لاهثة في انتظار ثائر مرتقب
وعلى مرمى من النور ومن عظم الغاية والمكتسب
يرتمي النسر وقد أودت به روعة الشوط وبعد الشهب
فاحدبي يا ظلمة القبر على ضيفك الصابر والمغترب
يا صريع الفكر قد عشت على روعة العلم وذخر الكتب
ولقد يغرق شهد نحلة صنعته في نقاء الذهب
ايها الراحل والكون دجى نحو تاريخ بعيد الحقب
حدث الجد عن الجيل الذي ضاع في حاضره الملتهب
ومضى في نزوات مرة ساجداً للغادر المغتصب
حرك الاجداد ، قد عودتنا رائع الشعر وحلو الخطب
وأثر في موطن القدس دمى بحثت عن مجدها في الشهب

حضنت مجد تواريخ مضت وبقايا أعصر من ذهب
يا دماءاً رقدت هانئة في رواب حانيات نجب
حركي ارض فلسطين ، ابعثي من مغاني أمسك الملتهب
صرخة الحق الى جيل غدا شارد الفكر شتيت المذهب
وغد قد يحمل العزم الى نازح عن داره مكتئب
هذه الكسرة إذ يمنحها صنعت من دمه المنسكب
ايها الراحل ها نحن كما قد عهدت الامس لم نستجب
لنداء صغته مستهدفاً صولة الظالم والمكتسب
تحمل البغي وتمضي صكه بيد الاثم وسيف الشغب
يا يداً تصنع من حق لها جذوة البؤس وحر اللهب
لا تثني في غد من ألم لا تضيقي بسيول النوب
انت وجهت الى الصدر الذي خر منهوكاً صريع التعب
مدية ، تلمع في أطرافها جذوة الموت ولون العطب
ايها الثائر هذا موعد سائغ المورد ، عذب المشرب
فاقتحم أدغاله في همة وابتدع آماله في مكسب
وابنِ للتاريخ ، للخصم معاً آية من ثورة ، من لهب
تحرق الحد الذي انشأه في ربى المجد وارض العرب

حسن علي الزين
٦ / أيار /٥٣

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر	٥
صورة المؤلف	٧
المقدمة ـ لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين	٩
مقدمة المؤلف	١٣
اسمه.. ولقبه.. وكنيته.. ونسبه	١٧
مولده ونشأته	١٩
مقامه في قريش وفي أنحاء جزيرة العرب	٢١
حياته العائلية	٢٣
مهماته وآماله	٢٧
إسلامه.. السرّ في كتمه.. منزلته عند الله تعالى	٤١
مكانته الأدبية	٤٣
تاريخ وفاته	٥١
النبي صلّى الله عليه وآله يؤبن أبا طالب عليه السلام	٥٣
تشريع صلاة الأموات بعد موت أبي طالب عليه السلام	٥٩
يوم أبي طالب عليه السلام	٦١
ليس للنبي صلّى الله عليه وآله مقام في مكة بعد أبي طالب عليه السلام	٦٣

الموضوع	الصفحة

رأي العالم الإسلامي في إسلام أبي طالب عليه السلام ٦٩
سر التشكيك في إسلامه أو تاريخ تولد النزاع فيه ٧١
نظرة فيما تمسك به المكفرة ٧٩
كلمة الختام ـ تستوضح فيها تحامل القوم على أبي طالب عليه السلام ١٠١

الكتاب والكاتب ١٠٧

تقريظ الملك يحيى إمام اليمن ١٠٩
تقريظ السيد محمد صادق بحر العلوم ١١١
كلمة لجنة الإحتفال ١١٣
رأيتك تقود الجماهير.. أحمد مغنية ١١٩
حطم جناحاه جناحيه.. الدكتور شكر الله حداد ١٢٣
الحرف لك لمن بحكمك... جعفر شرف الدين ١٢٥
تاريخ وفاة الفقيد ١٣١
وفجر العمر كان هو العصر.. ابن البادية ١٣٣
خطوة تطأ النجم.. كامل سليمان ١٣٥
يا صريع الفكر.. حسن علي الزين ١٣٩
محتويات الكتاب ١٤١